

هدوء عجيب ينسدل على المكان، وضوء خافت تجتاز أشعته فتحات الباب الخشبي المغلق، لتلقي ببعض الظلال على مرآة قديمة. الغبار يعلو هذه المرآة وكأنها تركت منذ أمد بعيد. والأتربة التي تغطي أرضية المكان تبعث بعض الرهبة وخاصة تلك الآثار المرتسمة عليها. آثار أقدام حديثة تمتد عبر الردهة لتنتهي عند إحدى الغرف المؤصدة. يُفتح باب هذه الغرفة دفعة واحدة، ومن خلفه تظهر مرآة أخرى، ولكن هذه المرة تزدان بالزخارف الزاهية المطلية بالأصفر الذهبي، وبريقها الأخاذ يخطف الأبصار. بدت وكأنها جديدة تزهو بجمالها وروعة تصميمها. وبالرغم من الظلام الدامس، تنعكس على سطح المرآة صورة لفنّانة الجمال تمشط شعرها، تستدير لتطارد فتى أخذ منها المشط وركض. تختفي صورتها لتنعكس أخرى لرجل ينهر امرأة والتي تستمر في البكاء. مرت عدة دقائق ليعلو صوت أقدام تهادى بلا أثر لصاحبها. صوت الخطوات على الأرض الخشبية كان واضحاً بشدة ليخترق حاجز الصمت. شيئاً فشيئاً تعالت أصوات أخرى مثيرة ضجيجاً في المكان. وبدون سابق إنذار يعم السكون على المكان، ويتبعه باب المنزل الذي يفتح ليسمح للضوء القادم من الخارج بالدخول. في هذا الوقت من الليل حيث الجميع يحتنون من البرد القارس في شتاء هذا العام في منازلهم، يدخل "عثمان" ومعه "فريد" وهما يرتجفان.

- هيا أدخل يا "فريد". لن يبحث عنا أحد في هذا المكان.

يرتعد الأخير خوفاً ويضيف "عثمان":

- البيت المهجور هو خير مكان نختئ فيه.

- وماذا عما سمعناه حوله، وأنه مرتع للجان والعفاريت.

- هل تصدق مثل هذا الكلام، إنها خرافات أهل المدينة نسجوها من خيالهم وسقوها من ماء الأساطير والخزعبلات. هل تصدق بوجود الجان؟

- إنهم مذكورون في القرآن الكريم.

- هل أصبحت شيخاً يا "فريد"؟ أنت تعلم جيداً أنني لا أنكر شيئاً مما ذكر في القرآن ولكن هذا كان في الأزمنة الغابرة. ومتى تحليت بهذه التقوى وليس لديك أي مانع في أن تبيع أهلِكَ في سبيل المال؟ كما أننا انتهجنا هذا الطريق الصعب والذي لا رجعة فيه، وأنى لنا أن نقرب من طريق التوبة بعد كل ما ارتكبناه.

يقول "فريد" وأسنانه تصطك بعضها ببعض:

- يبدو أنك لا تدرك عظم شأن الأمر. هل سمعت عما حصل لمن دخل هذا البيت آخر مرة؟ كان مهندساً أراد أن يجدد زخرفة البيت ويعيد رونقه، وبالرغم من نصائح الناس بأن يتركه وشأنه ولكنه أبى وهم بالبدء في التجديدات، فاختفى دون سابق إنذار، ولا يعلم أحد حتى الآن أين ذهب.

بدا على وجه "عثمان" السخرية مما يقوله صاحبه فاستطرد قائلاً:

- لعله هرب خوفاً مما رأي، أهذا ما تريد أن تقنعني به يا "فريد"؟ هلم يا رجل، دعنا ندخل

إلى غرفة بها مدفأة نصطلي بها من برودة الجو.
يدفعه إلى داخل البيت عنوة ويغلق الباب من خلفها.

- الله أكبر.

يسجد ويطيل السجود؛ وعندما تقترب منه يصل إلى مسامعنا كثير من التسيبحات والحمد والثناء لله الواحد القهار.

ينتهي من صلاته ويشمر عن ساعديه استعداداً للذهاب إلى العمل.

هو "محمد نور الدين" رجل في الأربعين من عمره يعمل إماماً للمسجد الكبير بالمدينة. بالرغم من أنه تقاد هذا المنصب مؤخراً، فهو يحظى بحب أهل المدينة جميعهم، الكبير قبل الصغير، وثقتهم اللامتناهية، فهو يمثل لهم القدوة الحسنة ويرمز لكل نقي وجميل. متزوج بالسيدة "إصلاح" والتي تبلغ من العمر ثلاثين سنة، وتعمل بالمريض، وتساعد زوجها على إعداد الخطب والدروس. لديها من الأبناء "سعاد" و"عماد"، طفلان في الثامنة والسادسة من العمر. وفي طريقه إلى الباب يتعثّر في وليده "عماد" والذي يتمسك بقدمه وهو يقول:
- لن أتركك ترحل! هيا لعب معي.

فيبتسم "محمد" قائلاً:

- يا لك من مشاغب.

فيداعبه وهما يضحكان، ويقبله ليقول:

- كفى لعباً أيها المشاغب، هل أتممت استذكار دروسك؟

- إنها دروس مملة.

- لا تقل مثل هذا الكلام؛ فالعلم هو وسيلتك للوصول إلى رضا الله وبه تنفع الناس.

- أريد أن أكون مثلك يا أبي، ألقى احترام الجميع وودهم.

- إذاً عليك بدروسك لا تفرط فيها، واهتم بها، وكُن هذا التلميذ النجيب الذي يحترم العلم ويوقره.

- حاضر يا أبي، سأكون من الآن وصاعداً ذاك الطالب المجتهد.

ويهرع إلى غرفته ليدرس ما فاتته.

وبغادر "محمد" متخذاً الطريق إلى المسجد، فقد اقترب موعد صلاة العصر. وإذا بقادم، غريب عن المدينة، أتى ليؤدي الصلاة في المسجد. الكل لاحظ وجوده حال ولوجه. فهو يرتدي ملابس غريبة، لك أن تقول أنها رثة قليلاً، مبهرجة الألوان، وهو في حد ذاته أشعث مغبر الحيا. اتخذ من أحد أركان المسجد مجلساً، والتزم الصمت تماماً؛ استمر على هذا الحال ساعة وبضع الساعة لا يبدي حراكاً بعد انتهاء الصلاة. أثار ذلك اهتمام كل الحاضرين الذين حدثوا إمامهم متسائلين عن هذا الوافد، فذهب الإمام إليه ليسأله عن حاجته، والرجل لا يجيب على أسئلة "محمد" الذي بادره:

- أأنت بخير؟

لم يجب الرجل فيردف "محمد" بالقول:

- أألك حاجة؟

ولا إجابة!

احتار "محمد" في شأن الرجل ولكنه آثر أن يتركه وشأنه؛ وقبل أن يتتعد قال الرجل بغموض عبارة أثارت قلق "محمد":

- يا إمام إياك ومحدثات الأمور وتقليب الظنون وبيات المجون وقليل من هذا وذاك الجنون فأنت في الغد مسجون بفعل أقرب الأقربين وحسد الحاسدين وقريب حميم بعيد عنك وهو مقيم وعدو لك وللرحمة عديم.

وينهض ليرتك "محمد" في حيرته وقد أدرك أنه يواجه كاهناً ما أو مجذوباً، فيلحق بالرجل وقد راعه ما سمعه فيقول:

- يا رجل أعد علي ما قلت فقد روعت قلبي.

فيقف الرجل ودون أن يلتفت "لمحمد" يقول نفس العبارة:

- يا إمام إياك ومحدثات الأمور وتقليب الظنون وبيات المجون وقليل من هذا وذاك الجنون فأنت في الغد مسجون بفعل أقرب الأقربين وحسد الحاسدين وقريب حميم بعيد عنك وهو مقيم وعدو لك وللرحمة عديم.

فيقول "محمد" بأنفعال شديد:

- بمن تقصد بأقرب الأقربين؟ ومن هو هذا القريب الحميم؟

يتجاهله الرجل ويتتعد بخطوات وثيدة. والمصلون يحيطون "بمحمد" وتسبقهم تساؤلاتهم.

- ماذا قال لك يا إمام؟

- من هو هذا الرجل؟

- في ماذا كان يرغب؟

"ومحمد" يتابع الرجل بنظراته وهو يختفي عن الأنظار فلم ينتبه لأسئلتهم. حتى ربت على كتفه أحدهم فانتبه إليه فيسأله:

- أأنت على ما يرام يا سيدي؟

- نعم... نعم، أنا بخير والحمد لله.

- ما الذي أخبرك به لتبدو على هذه الهيئة؟

- لقد قال لي شيئاً من قبل الهراء. يقول أنتي سأسجن والذي يتسبب في سجنني قريب حميم لي.

- هذه هرطقة ورمي بالغيب وليست من الدين في شيء.

- أجل بالطبع، لقد بدا لي أنه كاهن، فما قاله يرتقي لقول الكهان. دعمكم منه يا قوم، فهو كاهن، وأتم تعلمون جميعاً أن الذهاب إلى الكهنة تودي بمرتكبها إلى الكفر والعياذ بالله.

- ولكن يا إمام ألا تخشى أن يصيبك ما قاله هذا الكاهن؟

- " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"؛ مما أخاف وقد جعلت الله حسبي وهو نعم الوكيل؟
فيجيبه الواقفون:

- حسبنا الله ونعم الوكيل.

فيقول بلهجة حادة:

- فلنعد جميعاً إلى أعمالنا ولا نشغل بالنا بما لا طائل منه.

فينفض الناس ويذهب كل إلى مأربه، ويعود "محمد" إلى المسجد وقد احتمل ثقلاً على قلبه إثر التفكير فيما قاله الرجل.

وأثناء جلوس "محمد" جاءه المؤذن ليلقي على مسامعه ما يذهب عنه ما هو فيه. فيقول:

- يا إمام ما لي أراك واجماً هكذا؟ لا تقل لي أنك تصدق قول هذا الدجال.

- ليس ما يشغل بالي ما قاله، ولكنه زرع الشك في قلبي. لقد انتابني بعضاً من سوء الظن
حيال شقيق زوجتي. إنه شقي ويثير المشاكل أينما ذهب.

- يا سيدي، أنت تعلم أن بعض الظن إثم، وأنه إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

- سأتجاهل ما قال، وأسأل الله عز وجل أن يجعل من هذا الأمر محض افتراء وكذب مفتر.
سأصلي لله أن يقيني من كل سوء ويصرف عني سوء الظن ولا يجعل في قلبي غلاً للدين
آمنوا.

- إنه خير ما تقوم به. فها قم إلى صلاتك غفر الله لنا ولك.

وقبل أن يقيم الصلاة إذا بأحدهم يأتي من بعيد يصرخ ويصيح قائلاً:

- يا إمام... يا إمام، لقد أتوا... لقد أتوا.

لم يفهم من الذي أتى وما الذي يرغبون فيه، فيسأل القادم:

- هون عليك يا بني، من الذي أتى؟

- إنهم يريدونك!

- من هم يا بني؟

- الشرطة!

ينظر إلى المؤذن نظرة مفادها هل صدق الدجال، وينظر له الأول بنظرة جوفاء وهو لا يدري
ماذا يقول. يلتفت إلى الصبي ليقول:

- حسبنا الله ونعم الوكيل. لا داعي لكل هذا الذعر، فأنا لم أرتكب شيئاً يستدعي كل هذا
القلق.

ويرافق الغلام وهو يضع يده على كتفه قائلاً:

- هيا دلني عليهم حفظك الله.

ويرافقه المؤذن الذي بدا عليه القلق الشديد وهو يقول:

- أليس من الحكمة أن تعلم لم أتوا ولماذا يرغبون في حضورك قبل أن تذهب إليهم؟

- ليس لدي ما أخفيه يا "علي"، سأذهب إليهم وكلي ثقة في الله أن يرفع عني السوء.
 فيسيرون جميعهم والصبي قائدهم... إلى المجهول.

يركض بثيابه الرثة وشعره الأشعث ومن خلفه الصبية يقذفونه بالحجارة وهم يصيحون:
 - يا مجذوب... يا مجذوب.

ويحاول جاهداً أن يتفادى تكلم الحجارة والتي تنهال على كل جزء من جسده متسببة بكدمات وجروح. وبدون سابق إنذار يعترض طريقه رجل فيصطدم به ويسقطان أرضاً. وبمجرد أن رأوا الصبية الرجل تفرقوا وهم يركضون. قام الأخير بنفض التراب عن ثيابه وهو ينظر إلى الرجل الأشعث والذي رفع يديه في وجه الرجل مستجدياً الرحمة وأن لا يمسّه بسوء، ولكن الرجل مد إليه يده ليساعده على النهوض. لم يصدق في بادئ الأمر أن هنالك من في قلبه رحمة، فاستغرق وقتاً وهو ينظر إلى اليد الممدودة إليه، وفي نهاية الأمر استعان بها لينهض. فينظر إلى الرجل نظرة عرفان وبهم بالرحيل ولكن الرجل يوقفه قائلاً:

- اهدأ! لن أمسك بسوء! هل أنت جائع؟

يومئ برأسه دلالة على كونه جائع. فيبتسم الرجل ويمسك بذراعه ويقول:

- سأصحبك إلى بيتي وسأطعمك وأسقيك ويمكنك الاغتسال وارتداء ملابس لائقة.

لم يصدق ما سمع، لم يعتاد على مثل هذا الكرم، فالكلم يتعامل معه بقسوة واستهزاء. ولا يلقاه أحد إلا ويأفف التعامل معه. ولكن هذا الرجل بدا مختلفاً. ويعامله برقة لم يشهدها من قبل. لذا سارا سوياً حتى وصلا إلى البيت الذي كان مهيأ. عينا الأشعث توقفتا عند روعته فلم تفارقه إلا بعد فترة من الزمان.

- هل يعجبك منزلي؟

- ذ... نعم يا س... سيدي.

- إذا هلم إلى الداخل لتستريح وتستجم من العناء الذي صادفته.

يلجان إلى المنزل وعينا الرجل تبدي انبهاراً بروعة المكان فلم تفارق الجدران والزخارف والتحف. يقف الرجل بالقرب من أحد الأبواب منتظراً ذلك الأشعث لكي ينتهي من تسمره أمام فخامة المكان. فيعجله بقوله:

- هيا يا رجل الطعام سيرد.

فينتبه ويهرع إليه ويدخل في الغرفة ليجد ما لذ وطاب من الطعام فتتسع عيناه لوهلة ومن ثم يندفع باتجاهه غير مراعياً لآداب المجلس ليأكل بنهم عجيب.

- هون على نفسك وكل بطمأنينة، فلن يوقفك أحد حتى تشبع.

أنهى طعامه وقد امتلأت بطنه فانزوى إلى أحد أركان الغرفة واستغرق في النوم غير عابئ بأي شيء. وهنا ينصرف الرجل تاركاً الآخر يغط في سباته العميق. ويعود معه اثنان ليحملوا الأشعث إلى غرفة أخرى ليقول أحدها للمضيف:

- إننا مستعدون يا سيدي الطبيب. الحالة هادئة ومفعول المخدر في الطعام جعل حالته أكثر استقراراً.
- هل جهرتم أدوات الطقوس.
- نعم يا سيدي، سنشرع فيه عندما تكون جاهزاً.
- هيا بنا.

الحروف تداخلت أمام ناظره. لقد أوجع عيناه من كثرة القراءة. "حان الوقت لكي أريح نظري قليلاً". هكذا قال في نفسه. "محمود" طالب في المرحلة الجامعية ويدرس الكيمياء في كلية العلوم. هو عاشق للكتب والقراءة. يقرأ كل ما تقع عليه عيناه. كتب علمية، أدبية، ثقافية، أو حتى كتب الأطفال. منذ صغره وهو على هذه الحالة، الهوس بالقراءة، أو كما يطلق عليها "بلومانيا"، فهو يجد في الكتب ملاذه الآمن وواحة راحته.

يقطن مع والديه وشقيقه الصغير. أبوه وأمه طبيبان، أما أخوه الصغير فهو ما زال رضيعاً. كلا الأبناء يقومان بعملهما على أكمل وجه بشهادة أهل المدينة الصغيرة؛ وهو فخور بهما أيما فخر. لقد أرغمهما على قبول رغبته في الالتحاق بكلية العلوم وليس الطب كما كانا يريدان.

- لقد تذكرت شيئاً يجب فعله الآن. لقد نسيت أن أتناول طعام الإفطار وانشغلت بالكتاب الذي أقرأه فلم أسمع نداء أمي.

هكذا تم. ذهب إلى المطبخ على الفور فبطنه تؤلمه بفعل الجوع. وقف أمام الثلاجة يبحث عن شيء يقتات به. فأبوه وأمه قد ذهبا إلى العيادة ومعهم الصغير وتركاه منهما فيما يفعل. وجد بعض الشطائر أو بالأدق بقايا من تلك الشطائر؛ فلم يهتم وأكلهم بنهم.

لحظات لينتبه إلى شيء ما، إنه صوت رنين هاتفه المحمول. انتقل إلى غرفته مسرعاً ليجيب على هذا الاتصال، ولكن صوت الهاتف قد توقف عن الرنين. اطلع على اسم المتصل، لقد كان "حاتم"، غمغم قائلاً:

- ماذا كان يريد هذا الأحق؟

قام بمعاودة الاتصال به عبر الهاتف ليجيب "حاتم" على الفور، فقال له:

- معذرة يا "حاتم" كنت بعيداً عن الهاتف فلم أدرك اتصالك.

"حاتم" زميل "محمود" في الكلية، ويدرس معه في نفس المرحلة، ولكنه رسب العام الماضي، لذا هو أسن من "محمود"، ويعيش في مدينة مجاورة.

- تريد أن تقابلني! وما المشكلة! تعالى إلى البيت فأنا لن أرح المكان طوال اليوم. وهل هذا يستحق أن تهاتفني يا سخيف؟ فالدار دارك وأنت مرحب بك في أي وقت.

- أمر هام! ولا يتحمل التأجيل! ألا تخبرني ببعض التفاصيل؟

- حسناً، كما ترغب، أنا في انتظارك.

كلها ساعة وكانت الطرقات على الباب. فقام بفتحه واستقبال "حاتم" الذي كان مرتبكاً بشدة،

ووجهه ممتنع. بدا الارتباك على محيا "محمود" بعد أن رأى "حاتم" على هذه الصورة، فعهده به أنه يجب الدعابة والضحك، لطيف المعشر، لا يشغل باله بأي قدر من المشاكل.

- ماذا بك يا "حاتم"؟ لماذا أنت متوتر هكذا؟

- أدخلني يا "محمود" أرجوك، فالأمر جلل.

سمح له "محمود" بالدخول، وانتظر حتى يلتقط "حاتم" أنفاسه.

- هيا أخبرني ما المشكلة؟

نظراته الخاوية وعينه الجاحظتان تشي بالكثير. كلماته خرجت من فمه بشق الأنفس وكأنها مقيدة بداخله لا تبارح جوفه إلا وهي تنتزع جزء من روحه.

- لقد قابلت جنية.

كرر "محمود" مقالته ظنه منه أنه لم يسمع ما قاله جيداً:

- قابلت ماذا؟

- جنية!

انفجر "محمود" في الضحك، فما قاله كان بعيداً عن مخيلته تماماً.

لم يعبأ بتهمة "محمود" واستمر على وجوهه مما جعله يتوقف عن الضحك بعد برهة. فقال له "محمود":

- هل أنت جاد؟

- نعم! أقول لك ما حدث. لقد قابلتها ولم أدري بكيئوتها حتى أخبرتي بنفسها.

- وهل صدقت ما قالت، إنها تعبت بك.

- وماذا عما جعلتني أراه؟ لقد أرتني العجب العجاب. لقد أرتني عالمها الخفي وذهبت بي إلى نهاية العالم.

- هل تناولت طعاماً أو شرباً ما قبل أن تراها؟

- نعم لقد طعمت طعاماً وشرباً وما أأذه من طعام وشراب.

- لقد دُس لك فيه شيئاً يذهب عقلك يا أحمق. أنظر إلى حدقة عينك المتسعة، أظنها كذلك

بفعل عقار ما. يبدو أنه أحد عقاقير الهلوسة.

ليصفعه "محمود" على ظهره بقوة تألم منها وقال له:

- هذه من أفعال "رائد" يقيناً، فهو يجب أن يصنع المقلب.

بدا "حاتم" مشدوها وكأنه ما زال يعتقد بصحة ما شاهده وعاشه. فقال:

- ما رأيته كان يقينياً لأبعد درجة.

- سأعطيك دواء يذهب عنك ما أنت فيه. لو سمعك شخص آخر تدعي أنك رأيت جنية،

سيودعونك أقرب مصحة نفسية لتلقى علاجاً يذهب عنك جنونك. انتظر هنا حتى آتيك بهذا الدواء.

فكر "محمود" فيما سيفعله، فهداه تفكيره لفعل شيء ما. سيعطيه دواء يقوم بإفراغ أمعائه، مما

تناوله، على هيئة قيء. لقد قام بعمل أكثر من تركيبة في معمله الصغير من قبل. وما إن انتهى حتى أتاه ليجعله يشرب من هذه التركيبة ولكنه لم يجده. ليقيم "محمود" قاتلاً: - لقد رحل الأحمق، والآن سيجعل نفسه أضحوكة إذا ما أخبر أحد بذلك. التفت هاتفه وحاول أن يحدثه ليعيده إلى البيت، ولكن "حاتم" لم يجب على كل المحاولات لمحدثته. قرر أنه لن يسكت على هذا الأمر! سيواجه "رائد" ويعرف منه ما مكونات ذاك المركب حتى يتم عمل ترياق فعال.

قام بتغيير ملابسه وتوجه إلى منزل "رائد". ركب سيارة أجرة والتي أقلتته إلى هناك. منزله كان كبيراً بحق ومليئاً بالأشجار العجيبة، والتي غالباً أتت من بلدان عدة، ذات ألوان مبهجة، وزهور جميلة. فذوو "رائد" من أغنياء المدينة. نقر الجرس وانتظر حتى أجابه أحدهم متسائلاً:

- من بالباب؟

- أنا "محمود" زميل "لرائد" في الكلية. كنت أود أن أتحدث إليه قليلاً حول موضوع هام. - انتظر قليلاً.

وقف يتأمل ما حوله من مباهج وألوان رائعة للزهور والأشجار، فإذا بالبوابة تفتح، فيدخل ليجد أنها فتحت من ذات نفسها ولم يبق أحد بفتحها، إنها ذات الطابع التلقائي والتي تفتح من داخل البيت. سار متجاوزاً البوابة الحديدية حتى وصل إلى باب البيت الداخلي، ليجد "رائد" في انتظاره تعلو وجهه ابتسامة سمجة والتي لا يطيحها "محمود". مد يده مصافحاً ويقول في ترحاب: - مرحباً بك يا "محمود"، أي رياح أتت بك إلى هنا؟ بدا لوهلة أن "محمود" راودته نفسه أن يتجاهل يد "رائد" الممدودة، ولكنه صافحه في نهاية الأمر وقال له بجدّة:

- أهلاً بك يا "رائد"، لقد أتيت لأعرف ماذا فعلت "بحاتم". المسكين أصابته لوثة ويتحدث بكلام المجاذيب. أنا لدي من اليقين ما يجعلني متأكد أن هذا من فعلك. فما الذي وضعته في طعامه؟

- محلاً، محلاً يا عزيزي. أتيت لمنزلي لتلقي علي هذه الاتهامات جزافاً بلا دليل أو برهان. أنا لم أقابل "حاتم" هذا منذ أسبوع، فلقد كنت مريضاً ولم أتعافى قليلاً إلا اليوم. لقد ظننت أنك أتيت لتزورني في سقمي وتخفف عني، لا أن توجه إلي هذه الاتهامات الجارحة. فكر "محمود" في قول "رائد" وتساءل في نفسه:

- كيف فاتني هذا؟ بالفعل "رائد" لم يحضر للدروس منذ عدة أيام ولكننا ظننا أنه يخوض إحدى مغامراته، أمعقول ما يقول؟ أنا أعلم أنه يقتعل الكثير من المشاكل ولكنه لا ينكرها. إذا كان صادق، فمن فعل هذا بالمسكين "حاتم"؟ بدا على وجهه معالم الخجل ليقول:

- أعترز لك يا "رائد" يبدو أنني قد أسأت الفهم. وشفاك الله وعافاك وعجل بشفاك. بدت السعادة على محيا الأخير والذي شعر بأهميته. فقال برحابة:

- لا بأس تفضل إلى داخل البيت لأقوم معك بواجب الضيافة، فلا أقبل أن تزورني في بيتي ولا أفريك.

في نفسه يقول "محمود":

- لا أجد بدا من الموافقة، فأنا أشعر بالحنج الشديد من حماقتي وتعجلي في الاستنتاج.
وفي داخل المنزل قام "رائد" بإحضار المشروبات الدافئة التي تخفف عنا زهمير الشتاء. ليسأل الأخير:

- إذا قلت لي أن هنالك ثمة خطب أَلَمْ "بحاتم"، فما الذي أصابه؟

أراد "محمود" أن يخفي حقيقة ما حدث "لحاتم"، حتى لا يتخذ "رائد" منها موضوعاً ليسمر به مع أصدقائه ويمس "حاتم" بسوء.

- في الحقيقة، إنه بدا مرهقا ويقول بعض الكلام غير المفهوم فظننت أنك، واعذرنني في هذا، أنك وضعت له شيئاً في طعامه أو شرابه... و...

لم ينتهي من قول عبارته فإذا به يرى شيئاً يبرز من داخل الحائط. إنه رأس أفعى ولها قرنين كالكبش الأملج، ويخرج من فمه لساناً ملبئاً بالأشواك، وينساب منه سائل فيروزي اللون. إنها تزحف على الحائط ثم تلج داخله وتعود فتخرج مرة أخرى وهكذا. تسمرت عينا "محمود" على الأفعى، ليقول "رائد":

- "محمود"... "محمود". ماذا بك؟

أجاب "محمود" بتوجس وخيفة:

- هل ترى ما أرى؟

وانتفض "محمود" من مكانه حين تلاقي نظره بعيني الأفعى والتي تتجه نحوه. قفز هارباً دون وجل متوجهاً إلى الباب الذي وجده موصد.

وهذه المرة علت ضحكات "رائد" وقد استلقى على قفاه من كثرة الضحك، فأدرك "محمود" أنه أوقع به. وأن الشراب كان فيه عقاراً ما. لذا تجاهل "محمود" كل ما يرى واتجه إلى "رائد" بحزم وأمسك بتلابيبه ففزع. حاول الهرب من قبضته ولكن هيأت، كانت محكمة فلم يدع "محمود" له مجالاً للفكاك.

- أتركني أرجوك! أنا لم أرتكب جرماً. ستكون على ما يرام في غضون الساعة أو ما ينيف.

- ماذا وضعت في شرابي؟

- إنه عقار مهلوس يجعلك ترى هواجسك وخاوفك نصب عينيك.

- أين الترياق؟ ستأتي به وإلا ذهبت إلى الشرطة بعد أن أوقع بك صنوفاً من العقاب نظير ما فعلته.

- أتركني وسأتيك به.

- هل تظنني أحمق؟ آه... أنا كنت أحمقاً حين وثقت بك. لن تبارحني وسنذهب سوياً لإحضار الدواء.

بصرخ ويستغيث:

- أيها الخادم! أنقذني من هذا المجنون الذي يريد أن يقضي علي.
فيلبي الخادم النداء ويدخل عليهم الغرفة وينزع "رائد" من قبضة "محمود" ثم يحمل الأخير إلى خارج البيت. ولكنه لم يسكت فصرخ قائلاً "رائد" قبل أن يتوارى عن ناظره:
- سنلتقي... وسيكون لي معك شأن آخر.

- يا لهذا الدفء! إننا كنا في حاجة شديدة لمثل هذا المكان والذي لن يقره أحد. هل ما زلت على خوفك يا "فريد"؟ ها نحن جالسون ولم يمضنا سوى حتى الآن.
تصطك أسنانه وهو يقول:

- أنا في غاية الذعر، فالمكان يوحي بأنه لم يدخله أحد منذ سنين طوال. كما أنه موحش للغاية.
حتى هذه المرأة تثير في القشعريرة.

وينظران للمرأة الذهبية وعلى سطحها ينعكس صورتها. فيقول "عثمان":
- يا لك من رعديد جبان. لا أدري كيف تملك القدرة على مقارعة خصومك وأنت ترتعد هكذا.
فماذا أفعل أنا الذي لست بضخامة جسدك ولا بقوة شक्तिك؟

- أجل أنا أجيد التعامل مع الإنس أما الجن فهذا شأن آخر.

- أي جن يا أحمق؟ ألم أقل لك إنها خراف...

ويعلو صوت سقوط شيء على الأرضية الخشبية خارج الغرفة التي ملأ ضوء المدفأة جنباتها
ولكن ليس بالقدر الكافي الذي يمكنهم من معرفة ما الذي سقط.

فزعا الاثنان وهرب "فريد" إلى أحد الأركان يخفي بصره بيديه وبصرخ في دعر. أما "عثمان" فلم
يستطع أن يكمل عبارته تلك وقد داخله أن هناك أحد في البيت.

فيصيح في "فريد" قائلاً:

- كفى صراخاً يا أحمق. هناك أحد بالبيت.

- الجن!

- يا لك من غبي. كف عن هذا الهراء ودعنا نستكشف المكان لنعرف من أين أتى هذا
الصوت.

- دعني وشأني! أنا لا أستطيع أن أتحرك من مكاني. فقدماي لا تقوى على السير.

يقولها "عثمان" بنفاذ صبر:

- لا بأس. لا تبرح مكانك وسأقوم أنا باستطلاع المكان.

- هل تتركي وحيداً؟

- أجل، بالطبع.

فيخرج هاتفه المحمول ويضيء المصباح المدمج فيه ويتجه إلى باب الغرفة. فيفزع ثانية على إثر
صرخة "فريد" وقد اعتراه الخوف الشديد فصاح قائلاً وهو يمسك بكثف "عثمان" بقوة ألمته:

- لا تتركني يا "عثمان" أرجوك. سأموت بلا ريب وسيتوقف قلبي عن الحفقان من الرعب. ينظر له الأخير بغضب شديد ويرفع يده الموضوعة على كتفه بغلظة وهو يقول:
- كف يدك عني، فقد جعلتني أضجر من خوفك ذاك. اتبعني إذا أردت.
- لم يلاحظ صورة الرجل الذي انعكست على المرآة والذي بدا عليه أمارات الغضب. وعلى ضوء المصباح يسترشدان ويستكشفان المكان ويجاولان تبين مصدر الصوت. ومن غرفة إلى أخرى ينتقلان ولا يوجد ما يثير ربهتهما. انتهيا من تفقد المكان ولم يجدا مصدر الصوت. فعادا إلى الغرفة التي اتخذها مستقر لهما.
- ربما يكون فأر أو قطة من تسبب في هذه الضوضاء. لا تراعي يا صديقي العزيز فكما أخبرتك لا يوجد ما يعرف بالجن.
- وهما وقوف في الغرفة التي بها المدفأة تنطفئ النار وتغرق الغرفة في الظلام.
- ثوان، سأبهر المكان.
- ويستعين بالمصباح مرة أخرى ولكن هذه المرة كان شعوب وجه "فريد" قد ترك أثراً في قلبه. وحجاة يستقط الأخير أرضاً مغشياً عليه وصوت خطوات على الأرضية الخشبية تعلن عن قادم جديد للغرفة. يسلم "عثمان" الضوء نحو مصدر الخطوات ليجد الأرض قد انطبعت عليها آثار أقدام. يبرز سكيناً من طيات ملابسه وهو يصرخ:
- هيا تقدم... أنا لا أخشاك! ستلقى حتفك على يدي.
- وينطفئ المصباح والهاتف ويهدأ كل شيء فلا يسمع أي صوت بعدها. يستمر هذا الهدوء لدقائق. فنشتعل نيران المدفأة وينير مصباح الهاتف وجه "عثمان" الذي كان مستلقى على الأرض فاقد النطق، ساكن الحركة، خلت عيناه المفتوحتان من أي قدر من الحياة. فالسكين الذي كان يمسك به انغرس في صدره ونفذ إلى قلبه. أما "فريد" فجسده المسجى بلا حراك يبدو بارداً شاحباً وكأنه انتقل إلى مكان آخر. وما هي إلا لحظات حتى يفيق منتفضاً من سباته ويرى ما حصل لرفيقه فيصرخ قائلاً:
- لا أريد أن أموت. أرجوكم يا أسياد هذا البيت. لقد أخطأت حين تجرأت وقطعت خلوتكم. سامحوني أرجوكم.
- ويسجد مردفاً:
- سأكون خادمكم المطيع وسأفعل أي شيء ترغبون فيه.
- صوت وقع الأقدام يقترب من مكانه وهو على وضعيته يرتجف. لا يجرو على رفع رأسه. يشعر بشيء يداعب أطراف شعره. يتجرع مرارة الخوف والذل والرغبة في الحياة. تتراقص النيران وتهتز الأرض تحته وتذبذب الضوء الصادر من الهاتف. وما هي إلا ثوان ويهدأ كل شيء.
- يستمر على سجوده لا يتزحزح. وأخيراً تأتبه بعض الشجاعة فيرفع هامته، ويتلف حوله بمنة ويسرة ليتأكد من أنه لا يوجد ما يهدده. فيركض باتجاه الباب غير عابئ بانعكاس صورة الفتاة الصغيرة التي تمسك بدمية وتتقافز حوله وكأنها تريد اللعب معه على المرآة الذهبية، فتبكي بحركة

حين تركها وذهب إلى الباب يريد الخروج. ولكن الباب كان موصداً. حاول بكل قوته أن يفتحه أو يكسره ولكن بلا فائدة. فيجلس ليكي كالطفل الصغير أمام الباب والذي فتح من تلقاء نفسه، للوهلة الأولى لم يصدق ما يراه، ولكنه تقدم بخطوات وئيدة ليخرج أخيراً، ويركض مبتعداً عن المنزل. ويُغلق الباب!

لحظات فاصلة هي التي جعلت من هذه القضية مثاراً للجدل. فما زال الجاني مجهولاً، حتى بعد مرور عشر سنوات. فظاعة الجريمة تحاكي عنها أهل المدينة والقرى المجاورة، وحتى في العاصمة تنامي إلى علمهم هذا الفعل الشنيع وتلقوه بالسنثهم وشاع الخبر. لقد وجدت جثة مقطعة الأوصال بلا قلب ولا كلي ونزعت من محجريها العينان، وملقاة على قارعة الطريق. ولم يتم التعرف على الجثة. وها هي تعود نفس الجريمة معلنة وجهها القبيح على الملأ، ولكن هذه المرة وُجِدَت الجثة بلا دماء! أجل، لقد تم تصفية الدماء من الجسد لآخر قطرة، فتبقى ركام ومزيج من اللحم والعظم.

- كمادة هذا المجرم، لم يترك أي أثر يمكننا أن نفتفيه من خلاله. هذا يذكرني بالجريمة التي ارتكبت منذ أمد بعيد ولم يعثر على الجاني إلى الآن.
- كان هذا المقتش "خالد" والذي بدا مغموماً مغموماً بتولي هذه المهمة. لم يملك أن يرفضها فلقد أوكلها له شخصياً صاحب الشرطة الذي وعده بترقية استثنائية إذا استطاع حل اللغز.
- يتحدث مع الطبيب الشرعي الذي انهمك في فحص الجثة في المعمل الجنائي ويقول للأخير: هل استطعت أن تحدد شخصية الضحية؟
- لا لم أفعل بعد، سأقوم بمطابقة بصمات يده ومقارنتها بالمسجل لدينا. ولكن من المرجح أنه أحد المشردين نظراً لتراكم الغبار وبقايا الطعام تحت أظفاره. وهيئته الرثة وملابسه المهترئة.
- هذا واضح، وماذا عن مكان الجريمة؟
- من خلال الجسد المسجي أمامي من الصعب أن نحدد المكان، ولكن سأبذل ما في وسعي لأحدده.

تتوقف عينا الطبيب على شيء ما موسوم به جسد المريض. فيقول "خالد" الذي يكتب ملاحظاته في دفتر صغير يحمله دوماً:

- سيدي هناك شيء يستحق انتباهك.

يقترّب "خالد" من الجثة ويفحص تلك العلامة. إنها علامة غريبة ولكنه رآها من قبل. نجمة خراسية داخل دائرة داخل مثلث.

- ماذا تعني هذه العلامة؟ إنها ليست بالغريبة عليّ تماماً، لقد رأيته من قبل.
- إنها ترمز لشيء ما وإن كنت أظن أن لها علاقة بالسحر.
- هذا ما راوده من أول وهلة. هل هذا هو السحر الأسود الذي يسمع عنه؟ وهل كان هذا المسكين ضحية مراسم شيطانية يقوم بها عصابة ما في المدينة؟

- تبدو هذه القضية شائكة، وستتطلب مني مجهوداً خرافياً.
- هل تشابه مع ما قلت أنها جريمة حدثت من قبل؟
- بالفعل، لقد كنت في مقتبل عملي؛ التحقت بالشرطة للتو ولم يمر على انضامي سوى أسبوع.
- جأنا في المخفر بلاغ عن وجود جثة ملقاة في حاوية للقمامة. انتقلت مع زميل لي إلى مكان الجثة لنقوم بالمعاينة، ووجدنا جثة مشوهة مزووع منها أعضاؤها، العينان والقلب والكلى. كان شيئاً جديداً على مدينتنا الهادئة التي تذخر بالمصطافين. وكان ذلك يمثل خرقاً للسلام والأمان الذي تشتهر به المدينة. لذا تم استدعاء خبراء من المدينة المجاورة ليقوموا بالتحقيق في هذه الجريمة وإيجاد الجاني في أسرع وقت ممكن. وبالفعل قدموا وبرفقته المعدات والأدوات اللازمة للفحص والتحليل. وبعد عمل تحريات مكثفة وجد أن صاحب الجثة كان من ذوات فصيلة دم نادرة وأن الجريمة ارتكبت للحصول على أعضائه، وكما اتضح أنه غريب عن المدينة ولم يعثر له على أقارب أو أحد يطالب بجثته.
- وإلى ما انتهى الأمر؟ هل عثرتم على الجاني؟
- قيدت الجريمة ضد مجهول.
- وماذا عن هذه الجريمة؟ هل ستقومون باستدعاء رجال العاصمة؟
- في الحقيقة، يريد الرئيس عدم إعلان الخبر حتى لا يتأثر موسم السياحة، لذا أبقينا الأمر سراً، وسنعمد على مجهوداتنا الذاتية.
- يعلو صوت أحدهم مازحاً:
- ما الذي تريد أن تبقية سراً أيها المفتش "خالد"؟
- "أشرف"!
- في خدمتك دوماً يا سيدي. هيا أخبرني ما آخر القضايا التي تعمل عليها؟
- تقع عينا "أشرف" على الجثة فترتعد فرائصه ويقول في مزيج من الخوف والاشمئزاز:
- ما هذا؟ من الرجل؟ وما الذي أصابه ليبدو شاحباً بهذا الشكل؟
- ينظر إلى "خالد" الذي يتجاهل سؤاله ويقول للطبيب:
- أخبرني بما تجده في أي وقت.
- ويغادر. يقول "أشرف" للطبيب:
- أَلنْ تخبرني عن هذا الغموض الذي يكتنف ذلك الجثمان؟
- معذرة يا "أشرف"، ليس هذه المرة. يجب أن أبقى الأمر سراً.
- وماذا عن شرك الذي أعلمه ولم أرد أن أكتب عنه في الجريدة؟
- تتسع عينا الطبيب ذعراً ويقول:
- أنت وعدتي يا "أشرف".
- وأنت أعطيتني كلمتك بأنك ستكون عوناً لي في قضاياي.
- إخبارك يقتضي أن أقع في مشاكل لا حصر لها.

يميل عليه "أشرف" وهو يقول بمكر:
 - ومن سيعلم بأنك مصدر معلوماً؟
 بهم الأخير بالرجل ويستطرد قائلاً:
 - كما ترغب. سأحترم أسرار عملك، وفي المقابل يجب أن تراعي طبيعة عملي.
 - تمهل أرجوك!
 يقف "أشرف" عند عتب الباب، ويلتفت إلى الطبيب قائلاً وابتسامة النصر تملو وجهه:
 - هل ستساعدني وتخبرني بكل شيء؟
 يقول الطبيب مستسلاً:
 - أجل سأفعل.

- ماذا أفعل يا شيخنا الموقر؟
 - هذا والله شيء يذهب بالألباب والأفئدة.
 - ألم أقل لك أن ما عابته يُفقد العقل.
 - لا بأس بإذن الله، علاجك عندي.
 يقفان داخل الحبس يتحدثان؛ الضابط والإمام، وقد أبدى الضابط آيات التوقير والاحترام للشيخ الجليل. فيقول للأخير:
 - لا تحتاج إلى أن أوصيك، فالأمر جد خطير. ولولا أي أردت إبقاء الأمر سراً ما تحدثنا هنا بعيداً عن مسمع ومرأى من الأذان والأعين.
 - أنا متفهم تماماً يا صاحب الشرطة.
 ويضع الإمام يده على كتفه ويردف:
 - استعن بالله وسيرفع عنك الغمة بفضلِهِ ومته. وسأكون بإذنه لك عوناً حتى يزول عنك ما أنت فيه.
 ينظر صاحب الشرطة للإمام بتأثر ويأخذ يده بين يديه ويقول:
 - أنا رهن إشارتك وأمرك يا إمام، أخبرني بما أفعل وسأسمع وأطيع. أنت أُملي الأخير وملاذي.
 - الله هو ملاذك وكل أملك، ما أنا إلا وسيلة.
 بجرارة يقول الضابط وهو لم يفلت يده:
 - متى ستأتي لي بالخبر اليقين؟
 - أمهلني يومين، وإذن الله سأتيك بالحل.
 يضحك الشيخ فيعقد الشرطي حاجبيه والذي بدا عليه عدم الفهم. فيسأل:
 - لم تضحك يا شيخنا؟
 - المعذرة سيدي صاحب الشرطة لقد تذكرت موقفاً جعلني أضحك. لقد جاءني شخص ما في المسجد ليصلي معنا، هيئته رثة، ويرتدي ملابس غريبة، وأظنه كاهناً، لينذرني بأنني سوف

- أسجن، وها أنا في السجن معك. صدق وهو كذوب.
 ظهر على وجه الضابط الاهتام، فيسأل:
 - ومن هذا الكاهن؟ هل تعلم مكانه؟
 - لم أره من قبل، بدا وكأنه ابن سبيل.
 - كنت أتمنى أن أعلم مكانه فأفتبه في أمري وأطلب العون منه.
 جاء الدور على "محمد" لكي يعقد حاجبيه ويقول منزعجاً:
 - يا سيدي من أتى كاهنا وصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد، صلى الله عليه وسلم،
 وإذا لم يصدقه فلا تقبل صلاته أربعين يوماً.
 - لم أكن أعلم هذا، أعذرنى أيها الشيخ الجليل، فعلمي الشرعية ضحلة.
 - لا بأس، أنا أحذرك من هؤلاء الأفاكين الكذابين، حتى لو صدق بعض كلامهم، سيأتون
 عليه بأكاذيب كثيرة.
 - ولكنك قلت أنه كان يصلي معكم في المسجد! كما أنه حاول أن يساعدك بتحذيرك من مغبة
 دخول السجن.
 - هذا لا ينبغي عنه صفة العرافة والكهانة. كما أن متبع خطاهم هو في ضلال مبين.
 يتسم الشرطي ابتسامة توحى بالغموض ويقول:
 - قلت يومين إذاً وستجد حلاً لمشكلتي. أليس كذلك؟
 - بإذن الله.
 - حتى موعدنا، أستودعك أمري وسري.
 - اطمئن، فأنا له حافظ.
 ويتصافحان، ويذهب الإمام تاركاً صاحب الشرطة مستغرقاً في تفكير عميق.
 - يا حاجب!
 يأتيه حاجب المخفر مسرعاً ويقف أمامه مؤدياً التحية وهو يقول:
 - أمرك يا سيدي.
 - أريدك في مهمة عاجلة وشديدة السرية.
 - في خدمتك يا سيدي. ماذا تريدني أن أفعل؟
 - اليوم مر رجل غريب بالمدينة. يرتدي ملابس رثة ومبهرجة. لقد كان يؤدي الصلاة بمسجد
 المدينة منذ قليل. أريدك أن تأتي به أمامي في أسرع وقت.
 - حسناً يا سيدي. بإذنك.
 - هيا بسرعة.
 يغادر الحاجب مسرعاً. ويعود صاحب الشرطة للتفكير في مشكلته. لقد مر عليها عام الآن.
 وقد حار الأطباء في حالته. يقولون إنها ليست طبية وربما نفسية. حتى أطباء العاصمة أخبروه
 أنه سليم ولا شيء به. إنه لا يستطيع أن يقرب زوجته مهما حاول. لقد تزوج بأخرى ولكنه

يعاني من نفس المشكلة. قال له أقرباؤه و أصدقاؤه إن هذا من أعمال السحرة. وحتى الآن لم يجد حلاً ناجحاً. أخبره البعض أن الشيخ "محمد" يمكنه المساعدة وأنه أهلاً للثقة، لذا طلب نصحه اليوم.

يخطو "خالد" لداخل الغرفة بعدما استأذن للدخول وأذن له. يقول لصاحب الشرطة: سيدي، الجثة لأحد المشردين وقد انتزع منه أعضاؤه وشوه وجهه ولم يبق في جسده نقطة دم. وهنالك ثمة علامة غريبة وشم بها. وهذا شكلها. ويريه الرسمة التي قام برسمها على أوراق دفتره. فيقول صاحب الشرطة: هذه العلامة رأيت مثلها من قبل. ولكني لا أذكر أين. وأنا كذلك يا سيدي. تبدو لي أنها إحدى أفعال السحر. مقولته ذكرته بما يعاينه من العنة. أوشك أن يقول له أن يلجأ للشيخ "محمد" ولكنه خشي أن يتكلم الأخير بما لا يجب الإفصاح عنه فأججم عن قوله، وتذكر الكاهن وأن الحاجب تولى أمر إحضاره إلى حيث الخفر. فظهر بالصوت منادياً: يا "كريم".

فيأتي الحاجب مؤدياً التحية كعادته.

- أمرك يا سيدي.

- ماذا فعلت؟

- لقد قمت بإرسال من يقوم بالتحري عنه وإحضاره في الحال.

- أريدك أن تتعاونوا سوياً لإيجاده.

- حسناً يا سيدي.

- أمرك يا سيدي.

- أتما تعلمان أن هذه القضية نتكلم عن إظهار تفاصيلها حتى لا نفزع السائحين. فقوموا بتحرياتكما في صمت.

ينظر إلى "خالد" قائلاً:

- هل قمت بتحديد صاحب الجثة؟

- سنقوم بمطابقة بصماته ومعرفة كل المعلومات عنه.

- بالتوفيق لكليكما.

وينصرفان. وكلاهما لا يعلم أي مصير سيلقونه.

تقترب سيارة فارهة ثم تتقف ليخرج منها السائق الذي يهرع لفتح الباب الخلفي. وفي نفس ذات الوقت يفتح باب المنزل الذي وقفت عنده السيارة ويخرج منه الرجل الذي استضاف المشرّد من قبل ليستقبل الوافد الجديد الذي بدا فاحش الثراء بملابسه الباهظة الثمن، والحلي الذهبية التي يرتديها.

ينحني له صاحب المنزل احتراماً وهو يقول:

- مرحباً بك سيد "مهند" في منزلنا المتواضع.

يرد على ترحابه بغلظة:

- هل كل شيء معد جيداً؟

بابتسامة مصطنعة يجيبه:

- نعم يا سيدي، لقد أعددت لك ما سيسرك.

بامتعاض يقول "مهند":

- أرجو ذلك.

ويزلفان إلى داخل البيت وينتظر السائق خارجه. يعود ليجلس في السيارة، ويغضض عينيه.

دقائق ويطرق أحدهم زجاج نافذة السيارة التي بجواره، فيفتح عينيه بهدوء ليري من الطارق. لا

أحد على مرمى البصر! ينظر في المرأة باحثاً عن هذا القادم الخفي، ولكن لم يعثر على أي أثر.

لعله يتوهم، هكذا قال في نفسه، فعاد إلى وضعيته السابقة مغلماً عينيه وملقياً برأسه على

مسند المقعد. ليعلو صوت الطرقات مرة أخرى على زجاج النافذة. يفتح عينيه بسرعة ويبحث

عن الطارق، فلا يجد أحد.

- ما هذا العيب؟

يقولها ليخرج من السيارة وهو يصيح:

- هيا أظهر نفسك.

ويهرع للجانب الآخر من السيارة لعله يلحق بهذا المشاغب، ولكنه لا يعثر عليه. ومن ناحية

لأخرى ولا شيء. ينظر أسفل السيارة يريد أن يرى أقدام هذا العايب ولا شيء أيضاً.

يجلس على مقدمة السيارة وقد يتس من أن يمسك به، فيفزعه صوت بوق السيارة الذي يعلو

دون سابق إنذار. إنه داخل السيارة الآن، فينقض، انقضاض الأسد على فريسته، ويفتح باب

السيارة بعنف ليجد المقعد شاغر. فيقول بحيرة:

- هل جنت؟ ما هذا الذي يحصل؟

تمر الدقائق ولم يحدث شيء. فيبدأ قليلاً ويعود إلى سيارته ويحدث نفسه بأن هناك عطبا ما في

السيارة ليس أكثر. وقبل أن يسلم بهذا الأمر تعلو صوت الموسيقى من مذياع السيارة دون

أن يلمسه أو يقترب منه. فيصرخ قائلاً:

- هذا كثير. لن أمكث في هذه السيارة الملعونة.

ويترجل منها ثم يبتعد مسرعاً.

وفي داخل المنزل يقف الكل باحترام أمام ما بدا كالمذبح. وتقف في المقدمة امرأة ترتدي عباءة

حمراء فاقعة اللون. وتتفوه ببعض الكلمات والترانيم بلغة غريبة تماماً. ومن خلفها عدة أشخاص

منهم "مهند" وصاحب الدار وقد استقرت أبصارهم على الأرض خاشعين ويرددون بمثل ما

تقوله تلك المرأة. وعلى أضواء الشموع الخافتة يستقر صحن كبير ممتلئ بسائل أحمر قان. تتقدم

المرأة فتملأ كأساً فضياً بهذا السائل، ويلبها الحضور واحداً تلو الآخر. وبلغتها غير المفهومة تصيح فيشرب الكل. لتنطفئ كل الشموع دفعة واحدة. فيخر الكل سجداً. ويبقون على سبجودهم حتى تنبض المرأة وقد صبغت عيناها بلون الدم. وفي نهوضها أخذت ترتجف ويسيل لعابها من فمها. حتى استقرت في وقتها. وقالت:

- انهضوا أمراء وأميرات.

وقف الجمع وهم ينظرون لبعضهم البعض وبدأت السعادة الغامرة على وجوههم. وتبادلوا المصافحة محبتين ومباركين. وتوجهوا للمرأة ليقبلوا يدها ثم انصرفوا.

بقيت المرأة و"مهند" وصاحب الدار في القاعة المظلمة. والكل يلزم الصمت حتى تفوهت المرأة ببعض الكلمات فتضيء الغرفة مشكاة معلقة. وتخطو بخطوات وثيدة تتقدمها إلى خارج القاعة ويلحقا بها. حتى تدخل غرفة مزخرفة ومزينة وفي آخرها كرسي بدا كالعرش من فخامة شكله وروعة هيئته. فتجلس على ذاك الكرسي وتقول لها:

- ماذا تبقى منه؟

- القلب!

- اثبتوني به فهو أعلى الأجزاء.

يهرع صاحب الدار ليأتي بعد وهلة ممسكاً بحقيبة، التي يحفظ فيها ما يحتاج إلى تبريد، ويقدمها لها. فتفتحها وتخرج منها قلباً تقر به من أنفها وتشتهه. وتفاجئها بإلقائه بعيداً وهي تصرخ:

- لقد فسد.

وعيناها يتقدان كما الشرر تصيح:

- ماذا أفعل بكما الآن؟

يرفعا أيديهما أمام وجهيهما والذعر ينال منها فيقول "مهند":

- سيدتي، نخ...

فتصرخ فيه لتقطع حديثه:

- أنا مولاتك ولست سيدتك يا ناكراً الجميل.

- معذرة يا سيدي... يا مولاتي. لم أقصد أن أقلل من شأنك...

- أغربا عن وجهي. يا لكما من فاشلين.

يسرعان الخطي إلى خارج الغرفة. فيقول "مهند" للآخر متنعصاً:

- ما الذي ارتكبناه خطأً لنلقى مثل هذه المعاملة؟

بانفعال شديد يجبه وكأنه يخشى أن تسمعه المرأة:

- الزم حدودك ولا ستلقى ما لا يحمد عقباه. يمكنها أن تسمعنا من أي مكان.

يلتفت خلفه ثم يعود بنظره مرة أخرى ويقول:

- ماذا ستفعل الآن؟

- سأتيها بقلب جديد. يجب أن أحظى برضاها والا...

ويسكت ليحبيب "محمّد":

- أعلم ما سوف نقوله. أذكر ما فعلته "بسالم". لقد تجرّع صنوف العذاب قبل أن يلقي حتفه.
- سأرحل الآن قبل أن تصب جام غضبها على رأسي.
- ويخرج ليجد السيارة بدون السائق.
- "رافع"! أين أنت يا أحمق؟
- ويستخدم هاتفه ليقول عبره:
- أين أنت؟ ... ماذا؟ ... عد إلى هنا أيها الغبي وإلا سأنزّل بك ما تشيب له الولدان.
- وينهي الاتصال. يتفقد السيارة بعينيه ثم يصدح بالصوت قائلاً:
- كفى عبثاً وإلا سأخبر "فدوى"!

لم ينتهي مفعول العقار إلا بعد عودة "محمود" بساعات إلى المنزل. لقد تقياً كل ما طعمه بفعل التركيبة التي أعدها "لحاتم" من قبل. اختفت تلك الصور والهلاوس وعاد إلى رشده. ليلتقط بعدها هاتفه ويغمغم قائلاً:

- هذا التعس أين هو الآن؟

يسمع صوت رنين الهاتف من الجهة الأخرى، ولا إجابة!

- الهاتف المطلوب مغلق أو غير متاح.

كانت هذه الرسالة المسجلة التي سمعها في نهاية المطاف. يبدو أنه أغلق هاتفه أو هو خارج نطاق التغطية. لعله عاد إلى منزله، هكذا ظن "محمود" ولكنه لم يترك الأمر عند هذا الحد، فحاول الاتصال بهاتف منزله ويأتيه صوت أمه فيقول:

- إنه أنا يا سيدي "محمود"، أود التحدث إلى "حاتم" من فضلك.

فكانت إجابتها صادمة:

- إنه لم يعود بعد. لقد قال إنه سيذهب إلى منزلك.

- إنه كان هنا ولكنه رحل بشكل مفاجئ دون إخباري عن مقصده، وظننت أنه عاد إلى المنزل.

- لا لم يأت إلى البيت حتى الآن.

- لعله ذهب مع بعض الأصدقاء، لا تقلقي يا سيدي، سأجده.

أراد "محمود" أن يصرف عنها القلق. هو لا يدري أين سيذهب. "لحاتم" ليس له صديق في هذه الأنحاء إلا هو. لم يخبره حاتم أين ذهب من قبل، وأين رأى هذه الجنية المزعومة. ولا يعلم مكاناً يشاع فيه عن وجود الجن إلا البيت المهجور. إذا سيتفقدّه هناك. أصابته قشعريرة عندما تذكر ما قيل عن هذا البيت، وأنه لا يقربه أحد. وأن من يدخله يصاب بالجنون أو يختفي أثره تماماً. ما زالت نفس الرسالة تتكرر على مسامعه حين حاول الاتصال به مرة أخرى. استجمع شجاعته وانطلق لا يلوي على شيء.

منظره محبب هذا البيت. لقد كان لأسرة قديمة كانت تحكم المدينة ولها من الأراضي والممتلكات الكثير، ولكن أحد الأبناء استأثر بهذا الإرث بعد حوادث اختفاء مربية لبعض الورثة، وموت مفاجئ للبعض الآخر. ودام الأمر عدة سنين حتى لم يجد لهذا الوريث أثراً، لقد اختفى هو الآخر، ومعه زوجته وابن وبنت.

صاح بالنداء وهو يقف بالجهة المقابلة للبيت:

- "حاتم" يا "حاتم"! أنت هنا؟

وما من محجب. أخذ جولة حول البيت لعله يتبين صحة توقعه من عدمه. وبين الحشائش الخضراء، التي نمت بعشوائية حول البيت، وعلى ضوء الشمس التي أوشكت أن تغيب لاحظ شيئاً يلمع. حاول أن يره من مكانه بعيداً عن حدود البيت، ولكنه لم يفلح. فلم يجد بداً إلا أن يقترب أكثر. وكانت مفاجأة بكل المقاييس، لقد كانت قطعة حلي ذهبية. التقطها وفحصها بتأن، لقد كانت رائعة الجمال.

- ما الذي أتى بها إلى هنا؟ ومن صاحبها؟ وما التصرف الأمثل الآن؟

أسئلة كثيرة دارت في ذهنه. وإذا بأخرى ملقاة بالقرب من باب البيت. لقد كان سوار ذهبي مرصع بالماس. هو كسابقته يبدو باهظ الثمن. بين أن يذهب بهذه الحلي إلى الشرطة أو يستيقظا لنفسه كان متردد. تلفت حوله لعله يلمح إن كان أحد الجوار قد رآه. وكما توقع الكل يخشى أن يقترب من المكان، فكل الجيران قد هجروا منازلهم بعدما كان يصدر أصوات خفيفة من داخل البيت، وقال الجيران إنهم رأوا أضواء تشع من المنزل. حتى الشرطة لا تجرؤ على القدوم لهذا المكان المرعب حيث تعرض بعضهم لحوادث غريبة عندما دخلوه. هممت بالرحيل وإذا بي أسمع صوت مبحوح يناديني:

- "محمووووود!"

أنصت لأتبين مصدر الصوت، والذي كان قريباً من صوت "حاتم".

- "محمووووود!"

- "حاتم".

إنه هو. الأحقق لقد أتى إلى هذا المكان ليقابل جنيته المزعومة. هكذا ظن "محمود" في نفسه. الصوت يأتي من داخل المنزل. تقدم بحذر متوخياً أن يجده في حالة حرجة. لم يكن الباب موصد بشكل كامل. بدا وكأنه نسي أن يغلقه. دفعه وتقدم بخطو أولى خطواته ويهيمس:

- "حاتم" أين أنت؟

لا يسمع سوى صوت صرير خشب الأرضية بفعل خطواته. المكان بدا مرعباً ببرودته. مقاعد متناثرة وبعضها مهشم، والغبار هو المشترك بين كل ما في الداخل. تتبع آثار الأقدام الحديثة التي انطبعت على التراب ومتجهة إلى الداخل. وهناك آثار أخرى لأقدام تتوجه للخروج أيضاً. أصابه بعض الارتباك بفعل تلك الآثار المتداخلة. ولكنه أصر على التوغل أكثر دون وجل. "حاتم" يمثل له الصديق الوفي، فهو الذي وقف بجانبه حين حاجته إلى صديق يقبل عثراته.

ولكن ما يراه الآن كان فوق كل احتمال. هذه جثة لميت لا ريب. صرخ بكل ما أوتي من قوة، فهو لا يقوى على رؤية مثل هذا المشهد.

أفاق من النوم! هل كان يحلم؟ يشعر بجسد غير جسده يحتويه وكأنه استبدله وتركه في مكان آخر! تحسس جسده ونظر حوله؛ هو في غرفته وفي منزله. إذاً هو لم يبارح مكانه. فماذا عن "حاتم" هل هو بخير؟ تساءل في نفسه.

فزع إلى هاتفه الذي وجده بجواره وتحدث إلى "حاتم" الذي بدا أنه على خير ما يرام. لم يسأله عما رأى في حلمه عن الجنية التي ادعى أنها صحبتته إلى عالمها وغير ذلك من الهراء الذي حلم به. أنهى الاتصال ونظر إلى ساعته، لقد تخطت الثانية عشر بعد منتصف الليل حيث السكون التام. قام يتوضأ ليصلي ما فاتته من صلوات. فلم يعد يتذكر متى آخر مرة صلى. صلاة العشاء لم يصلها. أنهى الصلاة بشق الأنفس، وكأن صخرة جثمت على صدره. وعاد إلى فراشه يحمد الله على السلامة ويفكر في هذا الحلم الغريب الذي يشعر بمذاقه في جوفه. خطرت على باله فكرة. فنهض من السرير مسارعاً يتفقد ملابسه وجيوبه ليخرج قطعتي الحلي. كيف هذا؟ ومتى حدث؟ وأين حدث؟ شعر بالأرض تميد به وأظلم كل شيء.

امتقع وجه الطبيب الشرعي حين وقف المحقق "خالد" أمامه بنظراته الحادة التي تخترق الجسد وتكشف ما يخفي المرء. حاول جاهداً أن يتأسك وكأن نظراته لا تعنيه. وهدهوء شديد كان سؤال "خالد":

- ماذا وجدت؟

- هذه الجثة لرجل يدعى "ضياء التهامي". له سجل إجرامي مليء بالسرققات والتسول. آخر عنوان له في المدينة المجاورة. ويأتي دوماً هنا لیتصيد السائحین ويقوم بسرقتهم أو بالتسول منهم. يسأل "كريم"، الذي وقف بجوار "خالد" منصتاً، الطبيب، الذي ظهرت عليه معالم الارتباك بتصبية المتزايد للعرق:

- وماذا عن العلامة التي وجدتها عليه؟ هل علمت ماذا تعني؟

- تقصد هذه. لا لم أعلم عنها شيء.

ويشير إلى العلامة الموسوم بها الميت.

يخرج "كريم" هاتفه ويلتقط صورة لهذه العلامة. ويسأل "خالد":

- هل انتهيت؟

- هل هناك ثمة ملحوظات أخرى أيها الطبيب؟

- أجل، لقد وجدت شيئاً استرعى انتباهي. لقد وجدت آثار مخدر يتم تناوله عبر الفم في أنسجة المخ، مما يرجح عندي أنه تم تخديره عبر طعام ما تناوله. وشيء آخر، لم يمضي على موته الكثير قبل أن يتم التخلص من جثته، لذا سيكون مكان الجريمة قريب من مكان وجود الجثة. أي

تمت الجريمة في المدينة.

يقول "خالد" وهو يدون ما قاله الطبيب في مفكرته:

- أحسنت سيدي الطبيب.

يردف "كريم":

- بالطبع أنت تعلم إبقاء هذه القضية سرّاً هو من أولوياتنا، وخاصة بعيداً عن أنف الصحافة. لا تخبر أحداً بما قلت لنا للتو.

- أجل، بالطبع... بالطبع.

يستقل الاثنان سيارة "خالد".

- اللعنة!

قالها "كريم" بحق ليعث التساؤل على وجه "خالد" والذي ألقى بسؤاله:

- ماذا هناك؟

ينظر الأول للثاني بنظرة يملأها الغضب ويقول:

- لقد تناولت الصحف أخبار القضية. هنالك من سرب لهم المعلومات حولها. أنظر!

ويضع هاتفه أمام ناظري "خالد" الذي يتشرب وجهه بحمرة الضيق ويقول:

- من أخبرهم بكل هذه المعلومات؟ لديهم كل المعلومات التي لدينا وحتى العلامة قاموا بنشر صورة لها.

- سيشتاط أمر الشرطة غضباً حين يتلقى هذا الخبر.

- لن نسكت على مثل هذا العبث.

- ماذا سنفعل؟

- سنوقفهم ومنعهم من أن ينشروا المزيد. من الصحفي الذي قام بكتابة الموضوع؟

- لحظة. إنه يدعى "أشرف"، "أشرف عبد الله".

يعقد "خالد" حاجبيه ويقوم بتغيير مسار سيارته ليتجه إلى مقر الجريدة.

يدخلان غير عابئين برجل الأمن الذي أراد أن يتحقق من شخصياتهما. فيركض خلفها صارخاً:

- توقف! لا يجوز أن تدخلوا دون أن تفصحا عن شخصيتكما.

لم يعبأ "خالد" بصرخات رجل الأمن، ويتجه صوب "أشرف".

- أيها المشاغب! ساء...

كان "أشرف" هو قائل هذه العبارة، لأحد الجالسين بالغرفة التي خرج منها للتو، والتي لم يبقها،

فقد أمسك "خالد" بتلابيبه وصرخ فيه:

- كيف لك أن تكتب عن جريمة قيد التحقيق وتحاط بسرية تامة؟

لقد أفرغ "أشرف" ردة فعل "خالد" وحاول أن يفلت من قبضته والتي كانت مطبقة عليه بإحكام. ورجل الأمن يتدخل محاولاً أن يهدئ من غضبه الأخير.

- ما الذي تفعله؟ ليس لك أن تهجم علي في مقر عملي وتمنعني من أداء ما يتوجب علي فعله.
- ستوقف النشر حول هذه القضية ولا ستنتال ما لا يحمد عقباه.
- وتهددني أيضاً. هل أتم شهود على هذه الواقعة؟
- يقولها "أشرف" للمتجهرين والذين أحاطوا بهم من كل جانب يشاهدون الذي يحدث.
- أنا المحقق "خالد" وزميلي الضابط "كريم". وأتم لا شأن لكم هنا فيما تفعله.
- ويبرز شارته الشرطية للواقفين. ويردف قائلاً:
- هذا الرجل تجاوز حدوده وسيلقي جزاء عادلاً.
- ويصحبه "كريم" للخارج، وقد قام بوضع الأغلال في معصميه. فيصرخ "أشرف":
- ماذا تفعل؟ لست مجرمًا لكي تعاملاني بمثل هذا الشكل. أنا أؤدي عملي فقط.
- يسود الصمت عندما يصدر صوت رخيم من شخص وقور قد اندفع باتجاه الشرطيين قائلاً:
- ماذا يحدث هنا؟ ما هذا يا "رؤوف"؟
- يقول رجل الأمن "رؤوف":
- إنها شرطيان يريدان أن يصحبا الأستاذ "أشرف".
- من المسؤول هنا؟
- يتوجه بالسؤال "لكريم" و"خالد" فيجيب الأخير:
- أنا المحقق "خالد"! فمن أنت؟
- أنا "كامل"، رئيس التحرير. ما الذي اجتزعه "أشرف" لكي تأخذه؟ وهل معك إذن من القاضي بالقبض عليه؟
- لقد تمادى كثيراً، وتسبب في تعطيل التحقيق الجاري، ونشر معلومات تضر بالسلم العام.
- أي معلومات؟
- لقد فوجئنا بأن أحد القضايا السرية نشر تفاصيلها كاملة على جريدتك الإلكترونية دون الحصول على إذن أممي بذلك.
- سيدي، أنت تعلم أن مهمتنا هي نقل الخبر من مصدره إلى القارئ دون المساس بما لا يجير على ما تسميه السلم العام. أقدم لكم يا سيدي اعتذاري الشديد على سوء الفهم وسأوقف نشر الخبر حتى الحصول على موافقتكم على النشر.
- ولكن يا سيد "كامل"...
- سأحدث مع صاحب الشرطة السيد "مؤمن" وسأقدم له اعتذاري، ومعرفتي به تخبرني أنه سيقبل الاعتذار وسيتغاضى عن سوء الفهم هذا. أرجوك أطلق سراحه.
- لم يكن هناك بدا سوى أن يطلق سراحه، فهو يعلم أن السيد "كامل" له من الصلات ما يمكنه أن يسبب له المشاكل. فينظر إلى "كريم" قائلاً:
- دعه.
- يخلع عنه الأصفاد وبدون سابق إنذار يندفع "أشرف" ليكيل "خالد" لكلمة ويمسك بقميصه.

ولكن "كامل" يمسك بذراعه قبل أن ترتطم قبضته بوجه "خالد" ويصبح بصرامة:
- "أشرف"! كفى!

ويبتسم "كامل" "لخالد" ابتسامة وجلة، والأخير امتنع وجمه من أثر المفاجأة والذي تحول لغضب مكنوم. فيردف "كامل" وكأنه يريد "خالد" أن يتناسى ما حدث للتو وقائلاً:

- سعيد بلقائك يا سيد "خالد" ورفيقك السيد المحترم. تفضلوا بالقدوم إلى مكنتي لتناول فنان من القهوة.

عينا "خالد" تكاد الشرر ينبثق منها وهو ينظر "لأشرف". ويلتفت إلى "كامل" المبتسم، فيقول وهو موغر الصدر:

- شكرًا لك يا سيدي على دعوتك الكريمة، ولكننا يجب أن نباشر أعمالنا.
وينظر إلى "كريم" ويستطرد قائلاً:

- هيا بنا.

فيجيبه بهدوء:

- هيا بنا.

ويغادران و"كامل" يتبعهما بنظره حتى يختفيان، فينظر إلى "أشرف" مغاضبا ويصرخ قائلاً:

- هل جنت؟ أتريد أن تعتدي على شرطي؟

- هو البادئ، لقد أهانتني على مرأى ومسمع من الكل.

- وهل كنت تتوقع عاقبة فعلتك؟ السجن! هل هذا ما تريده؟ أن تلقى في السجن. هيا انصرف عن ناظري والا...

- حسناً، حسناً يا سيدي.

"خالد" تصطك أسنانه غضباً وهو يقول "لكريم":

- هذا الوغد كان يريد إيذائي. لولا أنني تماسكت وكنت غيظي لكنت أوقعت به ما لا يتوقعه.

لن أنسى ما هم بفعله. سأكتب تقريراً بهذا الأمر وأعرضه على السيد "مؤمن" ليبت فيه. آه، قلبي يحترق من كثرة ما به من غل.

- اهتأ يا "خالد" لقد كاد الأمر أن يتفاقم لولا حنكة السيد "كامل". المهم أننا أوقفناهم.

ويريه هاتفه لبييف:

- وها هم أزالوا الخبر من صفحتهم الإلكترونية.

- بعد أن قرأه العديون.

يرن الهاتف. وهذه المرة هاتف "خالد"، والذي ينظر إلى رفيقه ويقول:

- إنه صاحب الشرطة.

- السيد "مؤمن"!

- أظن أن السيد "كامل" قد تحدث إليه. سأجيب على الاتصال. يباشر بالإجابة "خالد" قائلاً:

- أجل يا سيدي.
 - يأتيها صوت "مؤمن"، وقد بدا الانفعال عليه واضحاً، حيث قام "خالد" بتشغيل مكبر الصوت لبسمه "كريم":
 - ماذا فعلتما؟
 - يجيبه "أشرف" بجدية:
 - لقد أوقفنا كارثة حقيقية.
 - أي كارثة؟
 - لقد قام صحفي بجريدة المدينة بنشر معلومات عن جريمة القتل المروعة التي أردنا أن نبقيها سراً.
 - ماذا؟ كيف؟ من هذا الصحفي؟
 - يدعى "أشرف عبد الله".
 - وماذا فعلتم معه؟
 - لقد أوقفناه ولكن السيد "كامل" وعد بأنه سيوقف نشر الخبر، وبالفعل قد أزاله من صفحات المجلة الإلكترونية، فتركته.
 - أحسنتم، أحسنتم. السيد "كامل" وجريدته يدعمان المخفر بشتى الطرق.
 - يبادل "خالد" "كريم" النظرات وهو يوحي له أنه أصاب في توقعه.
 - فيسأل "مؤمن" وقد اعتري صوته الهدوء هذه المرة:
 - وماذا عن الكاهن؟
 - يتساءل "خالد" قائلاً:
 - كاهن! أي كاهن؟
 - فيجيب "كريم":
 - سنعثر عليه يا سيدي، لا تقلق.
 - وإذا "بخالد" يوقف السيارة بقوة وبشكل مفاجئ؛ لقد أوشك أن يدهس رجلاً. رجل مهلهل الثياب، مبهرجاً، ويمسك عصا في يده. ينظر إلى الاثنين ثم يتنسم.
 - فيقول "كريم":
 - لقد وجدناه يا سيدي، أو بالأحرى، لقد وجدنا.
- *****
- ما الذي أخفاك أيها الجبان؟
 - يا سيدي لم ترى أو تسمع بالذي حدث! لقد جنت السيارة تماماً. أصوات طرقات وبوق التنبيه وغيرها جعلتني أفقد عقلي.
 - لا بأس! خذ السيارة للصيانة لأبد وأن فيها بعض العطب والذي يحتاج إلى إصلاح.
 - بعينين زائغتين غير مصدقتين يقول "رافع":

- ربما، ربما يا سيدي.
- يسود الصمت الذي يقطعه الأخير بقوله:
- تريد العودة إلى المكتب، أليس كذلك يا سيدي؟
- لا، سنذهب إلى المقابر لأزور زوجتي الراحلة.
- كما ترغب يا سيدي.

عند قبرها يجد شيئاً من الراحة. لقد كانت توأم روحه ولكن ماذا يفعل. لكي يصل إلى ما وصل إليه لابد من تضحية. يذرف بدلاً من الدموع دماً ويكي على ضريحها المكسور. فيها هو أكبر مورد لقطع غيار السيارات في القطر بأسره. ولديه من الأموال ما تملأ غرفاً مشيدة ولا تنضب. ولكن بين الفينة والفينة يفقدها. ويود أن يعيدها بين ذراعيه مرة أخرى، ولكن هيات، فما فات ليس بات، ومن مات لن يبعث من بين القبور الآن. ربما تساءلتم عن كنه التضحية. منكم من أصاب بتوقعه. نعم قام بالتضحية بها على ضريح المجد. فالآن يجد سهولة في إحضار ما لذ وطاب، وما صعب على الآخرين من أموال.

- لا تقتربي أكثر من هذا.
- يصرخ "مهند"، يجد قدميه مقيدتان ومثبتتان حيث يقف لا يستطيع الفكك. هي لا تعباً بما يقول. لا يستطيع أن يرى وجهها ولكن يرى ذراعيها الممدودين وكأنها تريد ضمه. هو يعلم أنها ضمة القمر. إنها زوجته الراحلة في فستان الزفاف. وهل ملك الموت يأتي على هيئة امرأة؟ هكذا فكر. أطبقت يديها على رقبته ليشعر بالاختناق. الهواء يأبى أن يدخل إلى رتنيه. لا يريد الموت. يدفع يديها عن رقبته ولكن بلا فائدة.
- لا!!!!!!

هذا الحلم يأبى أن يتركه. إنه كابوس فظيع يعود ليفزعه كل ليلة. عيناه يجافها النوم. و... هذه المرة يراها تتمثل أمامه ولكنها تبسم بمرح وتقرب منه لتجلس بجواره. إنها تضمه ضمة العاشقة لمعشوقها. وتمسح بيدها على رأسه وتقول:

- أهو الحلم نفسه؟
- تقصدين الكابوس.
- يا حبيبي أنت بين ذراعي أنا. لن أدع مكروه يصيبك.
- بعصية يقول:

- وماذا عن هذا الكابوس؟ أشعر أنه ينهش لباب قلبي ويخترق نخاع عظامي.
- لا تقلق يا حبيبي سأجد لك حلاً.
- تقف وتدور حول نفسها وهي تقول:
- ما رأيك بهذا الفستان؟ أيعجبك؟

- جميل.
 تقول بامتناع:
 - لا إنه لم يعجبك!
 فتختبئ خلف الستار وتخرج مرتدية فستان زفاف. إنه نفس ذات الفستان. هرعت عائدة إليه حينما حطت عيناه واقطعت أنفاسه.
 - لا يا حبيبي لا تجزع هكذا. إنك أقوى من أن يضيرك حلم.
 - لا... لا... ليس هذا الفستان أرجوك.
 تنظر إلى الفستان ثم تنظر إليه وتقول:
 - ولكنه يعجبني!
 - أرجوك! الرحمة!
 - أنت تعلم ما عليك فعله؟
 فخر ساجداً لها وهي تضحك بسعادة وتتقافز هنا وهناك.
 - سيد "همند"! هل أنت بخير؟
 إنه "صابر" خادمه. لقد نما إلى سمعه صوته وهو يحدث زوجته.
 - أنا بخير يا "صابر"! شكراً لك.
 - إنه يتجسس علينا.
 تقولها زوجته والتي ارتدت لباساً آخر. وتضيف:
 - سألقنه درساً يجعله يخافك حقاً ولا يقرب غرفتنا.
 - أرجوك حبيبتي لا تفعلي ذلك. هذا خامس خادم يعمل لدي منذ مدة وجيزة وأنا أرتاح له. سأكلّمه وأحذره. دعي الأمر لي.
 - هل تجدني جميلة يا حبيبي، أحلى من النساء الأخريات؟
 - بالطبع أنت مليكتي ومصدر بهجتي ونور بصيرتي.
 - أنا ملكت من زوجتك المحقاء تلك. سأعود إلى هيئتي الحقيقية.
 وإذا بها تتحول وتتحول إلى هيئتها التي طالما اشمأزت منها. بقرنها المعوجين، وبشكل وجهها الدميم، وبشعر جسدها الذي يغطيها من رأسها إلى أخمص قدميها، وذيلها الطويل أحمر اللون. وعينيها الزرقاوين كلون الثلج يشعرانه بالبرودة في عموده الفقري كلما راها.
 حاول أن يتسم ابتسامة مرحة ولكنها صدرت باهتة كلون وجهه الذي شحب من رؤيتها.
 أعرفكم بها إنها "أروى" زوجته من الجن.

- يا حبيبتي لا يصدقني أحد. لا يصدق أحد بوجودك. الكل يظن أنني قد جنت أو أهلوس.
 - يا "حاتم" أنت لا تهلوس إنك معي وأنا معك ولكني أكون خفية ولا أَدع أحداً يراني سواك.
 - فهاذا الآن؟ إن حبنا مستحيل. كيف سأزوج بك وأنت خفية؟

- أنت تعلم أن هذا شرطي، أن أكون خفية عن أعين الناس. وأقترح عليك أن تتوقف عن إخبار الناس عني حتى لا يظنوك مجذوبا.

- لم اخترتني أنا بالذات؟ كان بإمكانك أن تحظي بالذي هو أجمل مني.

- أنت الذي كنت تقرأ في كتب السحر واستدعيتني. وحين حضرت إلى غرفتك وجدت فيك فارس أحلامي و...

"الله أكبر الله أكبر"

وكان أصابها الصرع. إنه أذان العصر يؤذن له من المسجد المجاور. تضع أصبعين في أذنيها وتستغشي ثيابها فوق رأسها وهي تصرخ. لتختفي تماما عن مرأى عيني "حاتم".

- أهذا وقته؟

هكذا صرخ "حاتم" متمعضا. حاول أن يستدعيها بشتى الطرق ولكنها اختفت.

مر على هذه الحادثة عدة أيام وهو يكاد أن يجن. لقد افتقدها بشدة. قرأ كثيرا عن زواج الإنس بالجن، وأنه سيحظى بالزوجة التي توصله إلى أبواب الجاه والسلطة. لقد اختفت وهو لا يدري ما العمل الآن؟ الوحيد الذي سيتفهمه هو "محمود"! هكذا ظن. لذا ذهب إليه وعرض عليه الموضوع فإذا به يتهمة بالجنون، فغادر مسرعا.

لم يبق سوى أن يبحث في الأمر في الكتب وصفحات السحر الإلكترونية. لقد فتن بهذا العالم الخفي وأنه بوابة للقوة والنفوذ، كما كان الملوك قديما يستعينون بالسحرة والساحرات ليوطدوا حكمهم. حان الوقت لكي يحظى بتلك القوة والنفوذ.

ساعات مرت وهو مندمج بين صفحات كتب السحر تارة وبين صفحات الشبكة المظلمة. حيث المعلومات المحظورة متاحة دوما للراغبين في التعلم. بالطبع لم تكن مجانية وكانت باهظة إلى حد كبير، ولكن هذا لم يوقفه!

لم يتوصل إلى حل لهذه المشكلة المعقدة، ألا وهي كيف يستدعيها مرة أخرى، ولكن تفتق ذهنه إلى أنه يجب أن أعود إلى صاحب الكتب. إنه ولي من أولياء الله الصالحين وله كرامات مشهودات. سيكلفه هذا بعض المال يدفعه لكي يقابله. فهو كالطبيب يحصل على نقود مقابل استشارته.

وقد كان، ذهب إليه في الصباح الباكر إلى المدينة المجاورة حيث يقطن ولكنه علم أنه في محمة ولن يعود إلا بعد فترة طويلة. فعلموه لا تنضب ولا تنتهي. وبين الحين والآخر يتلقى وحيًا يأمره بالذهاب إلى مكان ما. ولا يعلم مكانه أحد، حتى مساعده لا يعلم شيئاً. عاد إلى البيت حزينا غارقاً في همومه. لم ينتبه إلى هاتفه إلا للتو. لقد كان "محمود"! إنه يريد أن يطمئن عليه ولم يقرب من موضوع حبيبته. ولم يتحدث "حاتم" أيضا. ماذا يفعل؟ ماذا يفعل؟ وكأن شرارة أضاءت في ذهنه فكرة جنونية! سيذهب إلى البيت المهجور. وكما هو معلوم أنه مسكون بالجن والعفاريت. لعله يجد الإجابة هناك. ولكنه سيعد العدة وسيحضر معه التعويذات والطلاسم التي تحفظه

من أذاه.

وقف أمام الدار يتمتع ببعض الكلمات ويرسم في الهواء وعلى الأرض رموزاً للحفظ. ودخل!
وجد القتييل المضرخ في دماثه. سمع الأصوات والطرقات فأدرك أنه في حضرتهم. تفوه بالتحية
والإجلال للأسياد، فهدأت الأصوات.

- يا أسياد أنا عبدكم وخادمكم "حاتم". أردت أن أحظى ببتقتكم وفي المقابل سأفد كل ما
تأمروني به.

لم يلتقى إجابة، لعلهم يفكرون أو يتشاورون فيما بينهم. هذه المرة كانت خطوات تقترب من
الغرفة حيث يقف. كان وقع تلك الخطوات مرتفعاً. وبالرغم من أنه يسمعها ولكنه لم يرى شيئاً
مختلفاً. أحس بتيار هوائي ساخن يمر بجوار رأسه.
- أُسجد...

هكذا تردد في عقله، لقد كان صوتاً واضحاً. لقد قرأ عن حب الأسياد للخضوع التام عبر
السجود. لعلها من عاداتهم ولكنه قرر أن لا يسجد إلا لله. هكذا فكر وقبل أن يجيب تردد
الصوت صده في نفسي:
- أُسجد...

ما زال يمانع! وإذا بيافوخى يكاد ينفجر وكأن أحد يعتصره.
- آلاه!

كان الألم لا يطاق، صرخ:

- أخرج من رأسي.

ولكن هيات! يأتي الألم أن يزول. ولآخر رفق عنده صاح:

- أعوذ بالله منك.

ليفقد الوعي!

لا يدري كم من الوقت مر عليه وهو على تلك الحالة. فالظلام دامس ولا يوجد بصيص نور في
المكان. استفاق على من يصفع وجهه.

- هيا أفق! أتعبد هذا مكاناً مناسباً للنوم؟ يا لك من أحق.

- ماذا؟ أين أنا؟

- هيا انض. أنت في الجحيم على هذه الأرض.

- تذكرت! لقد كنت في البيت المهجور. من أنت؟

- لا تعباً عن من أكون، بل اشتغل بنفسك. فنحن الآن محصورون في هذا البيت ولا مخرج
لنا.

- كيف ذاك؟ سأخرجك من هنا.

وبكل عفوية أخرج هاتفه ليستعين بالضوء المنبعث منه ولكن وجدته لا يعمل. تلمس طريقه إلى الخارج ولكن لم يعثر حتى على الباب. فقال:

- أين الباب؟ لا أجده!

- لا يوجد مخرج.

- بدلا من أن تبعث في نفسي روح اليأس، هيا ساعدني.

- كيف تريدني أن أقدم لك يد العون؟

- هل معك هاتف تضيء لنا به المكان؟

- لا للأسف، لقد عطب.

- هاتفك أيضا! هل تعلم أين نحن؟

- في إحدى غرف البيت أو ربما القبو.

- كيف أتيت أنت إلى هنا؟

- سوء حظي الذي أودى بي إلى هذه العاقبة.

- كيف هذا؟

- أنا عابر سبيل ولأول مرة أجيء إلى هذه البلدة. وجدت هذا البيت محجورا لا أحد فيه،

فمنيت نفسي باتخاذها سكنا، ولكنني وجدت نفسي في هذا المكان المظلم حين استيقظت من

النوم. وتعثرت فيك بعدها أثناء تفقدي للمكان.

- البيت ليس محجورا كما كنت تظن، بل فيه ساكنون لا يرحبون بأحد. قد استوطنوا المكان

ولا يجروا أحد أن ينازعهم المكان.

- من هم سكانه؟

- الجن.

لا يملك الرجل نفسه من الضحك. ويقول:

- أنت تهذي يا رجل. جن! أنت تمزح أليس كذلك؟

وأمام صمت "حاتم" يدرك الرجل أنه لا يمزح فيردف وهو يرتجف رعباً:

- أعوذ بالله، وما الذي يريدونه منا؟ أو ماذا سيفعلون بنا؟

- لا أعلم ولكن أحدهم، ولعله كبيرهم، أمرني بالسجود له، فأبيت! فانتهى بي المطاف إلى هذا

المكان.

- وهل يعلم أحد أنك هنا؟

- لا، لا أحد.

- يا للحظ العاثر! لو أنا في محلك لكنت سجدت له.

- هل جنت؟ أَسجد لخالتي فقط وليس لمخلوق آخر. إنهم يظنون أنهم محصنين كوننا لا نراهم

وهم يروننا، ولكن الحقيقة أنهم أضعف منا بكثير.

- هل تقول أننا يمكننا أن نجابههم وتغلب عليهم؟ فإن كنت صادقاً في ما تقول، فأوجد لنا

مخرجاً الآن.

- ثوان.

وتفاجأ الرجل بما نطق به "حاتم" من ترائيل وتعويذات لتظهر محتويات الغرفة على إثر نور خافت لا مصدر له. فيقول الرجل:

- إن هذا لسحر مبین!

- بل هي علوم نورانية يمن بها الله على من يشاء.

- أي علوم يا سيدي! ذاك سحر محض.

يتجاهله "حاتم" ويتقدم باتجاه الباب الذي استطاع أن يحدد مكانه. ويحاول فتحه ولكنه مغلق بإحكام. يحاول الرجل أن يفتحه هو الآخر دون جدوى.

- الباب موصد، اللعنة!

- هل يمكنك فتح الباب بطريقة ما؟

- سأحاول.

وبالفعل وقفت أمام الباب وتفوهت ببعض الكلمات التي أستخدمها لاستدعاء حبيتي "نورا" والتي تقدم لي بعض العون. لقد استجابت لندائي وأضاءت المكان ولكن الباب استعصى عليها.

يقول الرجل:

- لا شيء! الباب لم يتحرك.

- هيا معي، سنحاول أن نكسره.

ولكن الباب وقف صامداً أمام محاولتنا المستميتة. حتى أصابنا اليأس وبلغ بنا الإرهاق مبلغه.

فيقول الرجل:

- اعتذر!

- ماذا؟

- اعتذر عما قلت. لقد استهنت بهم وظننت أنك ستغلبهم بسحرك.

- هذا ليس سحراً إنه...

- أعلم، إنه علم نوراني، ولكنه بلا فائدة.

- هيا اسجد لهم ولا سنحبس هنا إلى الأبد.

- لا لن أفعل. سأموت إذا لزم الأمر ولن أنصاع لهم.

- هذا سحر بلا ريب. ونحتاج للعثور عليه لكي نوقفه.

- فكيف فعل هذا وأين نبحث؟

- لا أعلم ما الحل ولكننا في حاجة ماسة إلى إيجاد طريقة ناجعة للتخلص من هذا السحر.

- هل سمعت عن الشيخ "مبروك" يا شيخ "محمد"؟

- يقولون إنه يطل السحر ولا يطلب مقابل.

- كيف يفعل ذلك يا "علي"؟
- لا أعلم ولكني سمعت أن له قرينه من الجن يستعين به.
- أنا لا أعتقد بمثل هذا الهراء! كل منا له قرينه من الجن ولكن لا يستعين به إلا من بلغ بشروه الحد لكي يخاطب شيطانه من الجن.
- ألا تعتقد يا شيخ "محمد" بمن يقول إنه تأخى مع الجن؟
- لا يا "علي"، عالم الجن بمثابة عالم مستقل تماماً عن الإنس ولكن هناك من ابتغى أن يستعين بهم في أعمال السحر والكهانة والعرافة ويظن بذلك أنه يصنع الخير، وهو في الأخير قد يصل به الأمر أن يكفر بما أنزل على محمد، صلى الله عليه وسلم.
- فكيف لنا أن نزع السحر عن هذا الرجل الذي تقول أنه مصاب به.
- سأتضرع إلى الله عز وجل أن يرفع عنه ويقل عثرته.
- فماذا إن لم يجيبك الله يا شيخ "محمد"؟
- يا "علي" الله خير أما يشركون؟ نحن نتعجل الإجابة فقط. أما لو صبرنا واحتسبنا حتى يأتي الله بالفرج من عنده لكننا من عباد الله الموقنين.
- لا إله إلا الله. أصبت يا إمام. ستجيب بإذنه وفضله.
- سأقوم إلى الصلاة وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً.
- وطوال الليل أقام "محمد" صلاته وفيها يدعو الله بما أوتي من سبل التقرب والرجاء أن يرفع الله عن صاحب الشرطة ما به من داء، ويطل السحر عنه، حتى كاد أن يسقط من شدة النعاس، وأخذ إلى النوم.
- ما هذا؟ إنه يرى بيتاً جميلاً تملؤه السعادة. ولكن تلك السعادة لم تدم. يعود رب الأسرة وقد اعتراه غضب عظيم. فيقتحم باب المنزل ويخرج ممسكاً برجل آخر ويهدده بمسدس يحمله في يده.
- ولم تجدي توسلات الرجل، فقد رماه بالرصاص في منتصف الحديقة ليلقي مصرعه. وتحاول امرأة أن تهرب بعيداً عن البيت فيرد عليها صريعة بطلقتين من مسدسه، ثم يطلق النار على رأسه ليلقي حتفه.
- البيت ارتدى لباس الخراب والهجر فأصبح كئيباً، موحشاً. ويرى امرأة تدخل البيت تحت جنح الليل وتضع ما يشبه لفافة في قبو البيت في حفرة قامت بحفرها وتخفي آثارها. ثم تهرع للخروج من البيت.
- استيقظ حين صلاة الفجر وقد تهللت أساريره وعلت البسمة على وجهه وأتم صلاة الصبح وانطلق إلى بيت صاحب الشرطة. حتى أيقظ من في البار. أحد الخدم استقبل "محمد" وقد بدا عليه النعاس. فيقول له الأخير:
- أين سيدك؟
- لقد رحل مع الشيخ "غريب".

- أي شيخ "غريب"؟
 - الشيخ الذي أتى من المدينة المجاورة والذي يرتدي ملابس ذات ألوان زاهية بشدة.
 - لقد فعلها إذاً ولم ينصت لي.
 - ينطلق "محمد" إلى البيت المهجور ولكنه لم يجد أحداً بالقرب. ترى أين ذهب به هذا الكاهن؟
 - انتظر قليلاً فلما لم يأتي أحد عاد إلى منزله وهو يشعر بمزيج من الحزن والغضب.
 - ويمكن ليس ببعيد تنقل "مؤمن" والكاهن سيارة تتحرك بهما في الجوار.
 - إنه سحر لا ريب وسحر للتفريق بينك وبين زوجك.
 - يقولها الكاهن الذي ارتسمت على وجهه معالم الجدية وهو يتأمل يد أمر الشرطة ويفحصها.
 - فيقول له "مؤمن" باهتمام:
 - وماذا أيضاً؟
 - لقد قام فاعله بربط العقد ودفنها في مكان عجيب. في مكان لا يقربه إنسي. في أحد البيوت.
 - ليس من هنا ببعيد.
 - أين هذا البيت؟ أتعلم يا شيخنا الجليل؟
 - بالطبع أعلم.
 - ويذهب الاثنان نحو المنزل المهجور. تتجاوزهما سيارة الشيخ "محمد" العائد إلى منزله. يلمح سيارة "مؤمن" فيعود أدراجها ليتبعهما متجهاً إلى البيت المقصود.
 - يوقف "محمد" سيارته خلف سيارة "مؤمن"، والذي أدرك أن الأول قد رآه مع "غريب"، وأنه قد خالف نصحه، واتبع أمر الكاهن، لذا احمر وجهه خجلاً حين ترجل "محمد" من سيارته.
 - الشيخ "محمد"! مرحباً بك.
 - يتقدم "مؤمن" ليصافح الأول بحرارة متجاهلاً تعابير وجهه والتي عكست غضباً مكنوناً.
 - ليضيف:
 - ما الذي أتى بك هنا إلى هذا المكان الموحش؟
 - لقد أتيت لأخبرك بسر ما أصابك ولكنك، كما يبدو لي، قد وجدت ضالتك. ائذن لي لكي أرحل وأدعكما وشأنكما.
 - يا إمام، الله يقول في محكم التنزيل ﴿وأسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، والشيخ "غريب" عالم جليل في مجال الطب البديل، وعلامة في ما وراء الطبيعة، فلا تضن علي بأن أُلجأ إلى أهل العلم والخبرة.
 - بابتسامة هادئة يجيب "محمد":
 - يبدو أنك حسمت أمرك يا سيدي. لقد حذرتك من مغبة ما تفعل ولكنك أبيت إلا أن تقوم بما تملبه عليك نفسك.
 - وينظر إلى "غريب" بازدراء ويتبع بالقول:
 - السلام عليكم.

ويرحل مبتعداً بخطوات سريعة ليستقل سيارته ويعود إلى منزله.

- يا للأسف، لقد أوشك أن يفتح له باب السعد ولكنه أبى.

بدأت الحيرة على وجه "مؤمن" الذي قال:

- باب السعد! ماذا تقصد بذلك يا شيخ "غريب"؟

بغموض شديد يجيب:

- سترى بنفسك! هيا بنا.

ويتقدم "غريب" المسير إلى البيت، يجتازان البوابة الخارجية ويسيران في حديقة البيت التي تحولت إلى دغل حيث الأعشاب تطاولت بلا تشذيب والكثير من الأوراق الجافة. لقد كانت

حديقة حزينة. يصل "غريب" إلى الباب الداخلي ويشير إلى "مؤمن" لكي يتقدم. ويبلغ

"غريب" إلى البيت ويليهِ "مؤمن". وقبل أن يتجاوزا الدهليز الذي يصل إلى الغرف يضع

"غريب" يده أمام "مؤمن" لينعنه من الاستمرار في التقدم.

- ماذا؟

يقولها الأخير متسائلاً. فيجيبه "غريب" قائلاً:

- لن نستطيع التقدم أكثر ولا سنلقى عقاباً من ساكني الدار.

- وماذا عن السحر المرصود لي؟ كيف أوقفه؟

- هذا الأمر يتجاوز قدراتي.

- ولكنه في متناول يدي، سأستمر وليكن ما يكون.

وقبل أن يخوض في مغامرته غير محمودة العواقب يثنيه الصوت الذي تعالى من أعلى، من

السطح فيفزع ويقول:

- بئس الأمر. سأعادر وأحضر الرجال.

يقف الاثنان على مقربة من البيت ويقوم "مؤمن" بالتحدث عبر الهاتف إلى أحدهم. أما

"غريب" فكان يحملق في السماء ويتمتع ببعض الكلمات بصوت خفيض، وإذا به يصرخ قائلاً:

- شراسي بيراسي كن جبلاً رواسي!

لم يسترعي انتباه "مؤمن" ما قاله "غريب" للتو، ولكن ما أثار انتباهه هو عيناه التي تشبعت

باللون الأحمر القاني.

- ثوان يا "كريم".

يلتفت إلى "غريب" ليسأله:

- هل أنت بخير يا شيخ؟

عينا "غريب" الحمرولين اشتعلت بنيران الغضب ليهاجم "مؤمن"، بدون سابق إنذار، وينهال

عليه بقبضتيه لكراً، بيد أن الأخير أوقفه وتصدى لهجومه، ثم يقول:

- هل جنت؟ ماذا أصابك؟ لا تجعلني أؤذيك.

ويستمر "غريب" في محاولة إيذاء "مؤمن" فإذا بالآخر يهوي على وجهه بكلمة قوية فيسقطه

أرضاً ويصرخ قائلاً:

- كفى يا "غريب"!

ينفض الأخير من سقطته ويتلفت حوله ليخرج من بين ملابسه، ما لم يكن في الحسبان، مسدس قديم، ويوجهه إلى صدر "مؤمن"، الذي فزع لمراى هذا المسدس الذي أقي من العدم.

- اهدأ يا "غريب"، لا تنهز. هذا المسدس قديم وقد يصيبك بأذى، هيا ألقه بعيداً ودعنا نتحدث.

يتصبب "غريب" عرقاً وترتجف يده الممسكة بالمسدس، شيئاً فشيئاً يبعد فوهته عن صدر "مؤمن" ولكنه يرفعه دفعة واحدة ويضغط على الزناد.

يتنفس الصعداء وهو يتذكر ما حدث. لقد أودى برفيقه إلى حتفه وهو نجا من نفس المصير

المظالم. يسرع الخطى وهو لا يصدق بنجاته. يدخل مجمعاً ويغلق الباب ويضع الأقفال ويسند ظهره عليه. طرقات قوية انهالت على الباب ليفزع ويركض هارباً ثم يخفي نفسه تحت الفراش.

- افتح يا "فريد". نحن نعلم أنك بالداخل.

تزداد الطرقات شدة ويأتي صوت القادم ليقول:

- سنكسر الباب إن لم تفتح.

ينتظر الطارق إجابة من "فريد" لعدة ثوان، ثم يقول:

- هيا اكسروا الباب.

لم يتحمل الباب الكثير فقد تحطم بفعل هذه الطرقات القوية. ويتفتح المكان رجال أشداء.

ينتشرون في أنحاء الشقة.

- هيا آتوني به.

يقف عند الباب منتظراً الرجال ليمسكوا "فريد". تمر الدقائق ولم يأتبه أحد بخبر. فيتقدم إلى أحدهم ليقول:

- أين هو؟

- الرجال يتقنون عنه في كل ركن من أركان الشقة، وسيجدونه أينما ذهب.

يتفقدان المكان والرجال الذين لم يذروا شيئاً إلا وقلوبه رأساً على عقب.

- إنه ليس هنا يا سيدي!

الذهول ارتسم على وجه الرجل الذي تملكه الغضب فصرخ قائلاً:

- ليس هنا! لقد رآه "سمير" يدخل البناية ولم يبلغنا بخروجه قط. اجثوا جيداً لعله مختفي في مكان سري.

يستمر الرجال في البحث والذي استغرق وقتاً أطول ولم يجدوا شيئاً.

- اجثوا عنه خارج البناية لعله قفز أو خرج بطريقة ما.

ينتشر الرجال فمنهم من أعاد البحث داخل الشقة، ومنهم من خرج لبحث عنه خارج المبنى.

فيتبادلان النظرات ليقول الأول للثاني:

- أين "سمير"؟ أريده في التو هنا أمامي.

- حاضر يا سيدي.

تمر الدقائق الطوال على "فريد" وهو محتبئ، يخشى أن يصدر منه أي صوت. استمر على وضعه الحالي حتى اختفى وقع أقدامهم. بلغت به الدهشة مداها كونهم لم يقبضوا عليه. حتى الفراش لم يحاول أحد أن يبحث أسفله أو يحركه من مكانه. "يبدو أنهم حمقى" هكذا ردد في نفسه. ولكنه يسمع صوتا جليلا يتردد في ذهنه:

- بل أنت هو الأحمق.

عاد العرب إلى جنباته مبهز هزا. يقول وهو يرتجف كورقة الشجر في مهب الريح:

- من ... من أنت؟

- أنا سيدك الذي أفنذك للتو. لقد جعلت كل من يقترب من المكان يرى الفراش خاويا وأوسوس له أن يتركه وشأنه فلا يقربوا المكان.

- أين أنت يا سيدي؟ أنا لا أرى شيئا ولكني أسمع صوتك بوضوح.

- أيها الأرعن! هل تظن أنك بإمكانك أن تراني؟ ومن أنت أيها الحقير كي ترى ولي نعمتك؟

- أعترذر لك يا سيدي، أنا...

- لماذا ترفع رأسك، وأنت في حضرتي اخشع لي وادنو من الأرض ولا سأوقع بك العذاب الأليم.

يميل بجسده حتى يوشك أن يسجد ويقول:

- حاضر يا سيدي.

- لقد نجوت حين أذعنت وخضعت لنا وصرت عبدا لعظمتنا. وأنا وكلت بأمرك لأقف على طلباتك وعلى رغباتك ولكن في المقابل ستفعل ما يطلب منك وسأعلمك بعض السحر لكي تستدعيني ومن رغبت.

- بالطبع يا سيدي، سأفعل أي شيء. كلي فداك يا سيدي.

يطبق الصمت فلا يجد "فريد" ما يقوله بأرتباك شديد إلا حين قال:

- سيدي! هل ما زلت موجوداً؟

ولا إجابة!

فيعلم أنه رحل. أو ربما يراقبه في صمت. توحس في نفسه خيفة. إنه يسمع حتى ما يقوله في نفسه. لقد كان غيبا حين سمع لقول "عثمان" وسَطُوا على متجر المشغولات الذهبية. لقد كانت الشرطة على علم بما خططوا له وانتظرتها حتى يتم الإيقاع بهما متلبسين. ولكنها نجح في الفرار بالغبمة واحتميا بالبيت المسكون. وها هو الآن بين مطرقة الشرطة وسندان البيت الملعون. لقد ترك الذهب والمجوهرات داخل البيت حين فر هاربا. ويريد العودة ليسترجع ما فقد. لذا أمل رأسه في خشوع وتضرع قائلاً:

- سيدي، يا سيدي. أنا في حاجة إلى نصحك. أريد العودة للبيت. لقد نسيت أشياء هامة هناك. فهلا سمحت لي.
فلما لم يأتيه رد ظن أن هذا الجني تخلى عنه وأنه أصبح حراً مرة أخرى. وقبل أن يهيم بترك مكانه إذا بالمشديد يحتاج جسده ويغزو عظامه فيصرخ ويصرخ ويسمع صوت ضحكاته.
- أرجوك، كفى.
- إياك أن تفكر في العودة إلى هناك مرة أخرى وإلا لن ترجع.
- أنا آسف، توقف أرجوك.
- اسجد لي وتضرع.
فيسجد ويطيل السجود وهو يتلو من الألم. لم يذهب ذاك الألم على الفور بل بدا أنه لن ينتهي. وأخيراً شعر ببعض التحسن، فرفع رأسه وجلس يبكي كما الأطفال.
- أرجوك يا سيدي، أتركني لحال سبيلي.
فلم يأتيه رد وأدرك أنه صار عبداً لهذا العفريت الذي لن يدعه وشأنه، أبداً.

يفيق على صوت رنين الهاتف، ولكن عقله ما زال في دوامة يحاول الخروج منها. من الهاتف؟ إنه "حاتم". تجاهل اتصاله فليس الوقت مناسباً للتحدث إليه. ما الذي ألم به ليسقط هكذا؟ يجب أن يعود الطبيب. سيفعل ذلك الآن. إنها الساعة العاشرة صباحاً. هم بالتوضؤ ليصلي الصبح. الماء بدا كالحم يكوئ جسده، بالرغم من أن الجو بارد. وقف مولياً وجهه شطر القبلة وقبل أن يكبر للصلاة، داهمته غشاوة وأنت على عقله وبصره، فأمسك برأسه وجلس على الفراش، عليها تنزاح عنه هذه الغشاوة. يقوم للصلاة ليشعر بها تراوده مرة أخرى. هنالك ثمة ارتباط بين الصلاة وبين هذه الحالة لم يفهم ما هي.
ذهب إلى الطبيب والذي قام بالفحوصات اللازمة، أخبره أن ما يشعر به ما هو إلا بفعل الإرهاق واضطراب النوم، ليس إلا. ووصف له بعض المقويات.
الهاتف مرة أخرى، وما زال "حاتم" يريد أن يتحدث إليه. لم يجد بُداً من إجابة الاتصال.
- "حاتم"، مرحباً بك يا صديقي. كيف حالك أيها الرفيق المقرب؟

...

- "حاتم" هل تسمعي؟

...

وتتقطع المكالمات. يبدو أنه في منطقة تغطية الاتصال فيها ضعيف. سيكلمه في وقت لاحق.

من على الفراش قام. لا يذكر متى خلد إلى النوم. آخر شيء يتذكره مكالمة "حاتم" له. إنها الساعة السادسة مساءً. لقد مر الوقت بسرعة من حيث لا يدري. ثقلت عليه الصلاة جداً عن ذي قبل. تناول الدواء الذي وصفه له الطبيب لعله يشعر ببعض التحسن.

- كيف حالك يا حبيبي؟

الذهول هو كل ما أصابه عندما تلقى هذه المكالمة من رقم مسجل تحت اسم "لمياء". من "لمياء" هذه؟ ومتى قام بحفظ رقمها على هاتفه؟

- "محمود"!

إنها تعرف اسمه وهو لا يعلم شيء حولها.

- "محمود"!

- مرحباً.

تهللت أساريرها! بدا ذلك من صوتها حين أجابت:

- ألم تفتقدني يا قاسي القلب. أنا أفتقد كل شيء فيك.

كيف لها أن تتحدث معه بهذه الطريقة. ليس هو هذا الرجل الذي يتخذ خليلات. وتعامله مع الجنس الآخر، لو يتسنى لي أن أقول، يعتريه الكثير من التحفظ. لذا ارتبك واحترار في رده على قولها. فقلت:

- ماذا؟

- ماذا ماذا؟ ماذا بك يا رجل؟ لم تبدو وكأنك شخص آخر؟ أهذا هو الرجل الذي اتخذته

زوجة لي؟

كانت صدمة جعلته على الفور يقول في نفسه:

- لحظة واحدة! أتقول زوجاً لها؟ أنا... تزوجت. متى؟ وكيف؟

المفاجأة كانت كفيلة بأن تحرسه تماماً، ليستفيق على صراخها:

- لا لست "محمود" الذي عهدته أكثر حميمية ودفاً. أنت مجرد من كل مشاعر الحب وأحاسيس الغرام.

- يا سيدتي، أنا لم أقصد...

- سيدتي! "محمود" عد إلى رشدك. أنا "لمياء" زوجتك. فلا تدعوني بسيدتي.

- "لمياء" أعذر منك، فأنا أشعر ببعض التعب والإرهاق لذا فلن تجدني على سبيلتي.

- يا حبيبي فداك نفسي. عد إلى البيت وسأقوم برعايتك.

أي بيت؟ إنها، من المؤكد، تقصد بيتها. وجد نفسه تلقائياً يجارها فيما تقول.

- حبيبي، أنا لا أذكر عنوان البيت.

ضحكت ثم قالت:

- معذرة يا حبيبي، تذكرت أنك ضللت الطريق آخر مرة. هذا هو العنوان.

ليتلقي العنوان ويقوم بكتابته. أنهى الاتصال على وعد القدوم إليها بأسرع ما يمكن.

ها هو يقرع جرس مسكنها. المكان لم يعهده من قبل. ففتحت الباب فتاة ثلاثينية ليست بالجميلة ولا بالدميمة، وترتدي ملابس قصيرة وضيقة، استحي أن ينظر إليها. ولكنه تغلب على خجله

فهش وجهه وابتسم.

- مرحباً يا "لمياء".

احمر وجه الفتاة خجلاً وقالت بارتباك:

- أنا خادمتك "وفاء" يا سيدي. السيدة "لمياء" تنتظرك بالداخل.

جاء الدور عليه لكي تصيب وجهه الحمرة. فقال بوجل:

- أهلاً "وفاء". أعندر منك.

- لا بأس يا سيدي، أخبرتي سيدي أنك لست على ما يرام.

أفسحت له المجال لكي يدخل واستطردت قائلة:

- تفضل يا سيدي.

كانت الشقة رائعة بكل المقاييس. والأثاث فيها فخم إلى أبعد حد. قادتته إلى سيدتها التي كانت ترتدي ملابس لا تختلف كثيراً عن خادمتها. وحين رآته قفزت من كرسي كانت تجلس عليه لتضمه وتقبله.

- اشتقت لك كثيراً يا حبيبي. طهور إن شاء الله. هيا استرح لا تقف كثيراً.

قال وما زالت وجنتيه على حالها، شديدة الحمرة:

- أنا بخير يا عزيزتي.

لاحظ الحلي التي ترتديها، ومن ضمنها الحلي التي وجدها في المنزل المهجور. وهي لاحظت

بدورها حلقته فقالت وهي تربه الحلي:

- هل يعجبك ما تشاهد؟

- بالطبع يا حبيبي. أنت من تزينها ببجالك.

ابتسمت وقامت بتقبيله ثم قالت:

- أشكرك يا حبيبي على هديتك التي تجعلني أفكر فيك طوال الوقت.

ما اخترته من أفكار حينئذ كلها تدور حول ما الذي حدث ليتزوج من هذه المرأة؟ ولماذا لا

يذكر شيئاً؟ أهو الإرهاق كما أخبره الطبيب؟

- حبيبتي قصي علي كيف التقينا وتزوجنا، فأنا استمتع بسأعها منك.

- حسناً يا حبيبي. كل شيء حدث بالأمس حين التقيت في الحانة الملحقة بالنادي الليلي.

- الحانة! ونادي ليلى!

- أجل! كنت أنا في حالة مزرية. فقد كنت وحيدة والكل يئسني عن صحبتي كوني راقصة قد

تقدم بها العمر قليلاً. كنت أشرب الخمر حتى كدت أفقد وعيي. الوحدة قاتلة يا "محمود". حتى

ظهرت كالفرس الهام الذي أفضني من بؤسي وأعدت إلي الحياة. تحدثنا سوياً حول كل شيء.

حول اهتماماتك وطموحك ورؤيتك للمستقبل. حول شريكة حياتك التي تفتقد وجودها.

وأفصحت لي عن حبك لي والذي بدأ منذ عدة سنوات وأنت تشاهدني أرقص. قلت لي أنك

ترى في الأمل والمستقبل وتريد أن تتزوجني. كانت مفاجأة جميلة فأنا وحيدة منذ سنة بعدما

تركي زوجي السابق ورحل عني. لم أتردد لوهلة فأنا أعرف جيداً معادن الرجال، ووجدت فيك الذهب النقي والقلب النقي الورع. لذا وافقت على الفور وذهبنا سوياً لعقد قراننا. هذا ما حدث بالأمس. أليست قصة مثيرة؟

- بلى يا حبيبتى! إنها أجمل قصة مرت علي. قصة هذا الحب الذي جمعنا سوياً. لم يعلم ما الذي يمكن فعله. أيقول لها أنه لا يذكر أي شيء مما تقول، أم يتابع ما هو بصدد؟ هل تكذب هذه المرأة؟ لعلها أحد مقال "رائد" ليجعل منه أضحوكة. وماذا لو صدقت وكان بالفعل زوجها، ما الذي سيخبر به أبيه وأمه؟ ربما لو اطلع على وثيقة الزواج لأيقن بصدق كلامها. لذا قال:

- هل لي أن أطلع على وثيقة زواجنا؟ إنها ذكرى جميلة لا أملّ من تذكرها.
- معك نسخة يا حبيبي. ولقد وضعتها في جيب معطفك بالأمس. فنتش عن الورقة ووجدناها كما قالت. هو متزوج بها بالفعل. أسقط في يده، ماذا حدث له؟ وما الذي دفعه لفعل هذا؟ أسئلة كثيرة بلا إجابة.

- تبدو متعباً يا حبيبي، تعالى لتستريح قليلاً ريثما يعد الطعام. أعددت لك ولحمة لتشد من أزررك.

وضع رأسه على وسادة لعله ينام أو يفيق من هذا الحلم. ولكنه لم يستطع. ود لو يقرأ بعض آيات من القرآن فهي تريح نفسه وتذهب الروح عن قلبه. وجد بالقرب مصحفاً فعجب. راقصة وتفتني مصحفاً، إن هذا شيء عجيب. وقبل أن يقربه شعر بذاك الدوار العجيب يحده. ولكنه صمد وأصر على أن يقرأ. مع كل آية يقرأها يشعر بنار تكوي أوصاله. وخجأة شعر بالغضب الشديد وألقى بالمصحف جانباً.

- أستغفر الله العظيم.

قالتها "لمياء" والتي هرعت لرفعه عن الأرض وتقبله وترفعه فوق رأسها.

- لماذا فعلت هذا يا "محمود"؟ هذا هو بركة المكان.

- كيف لك وأنت راقصة بالليل أن تحتفظي بهذا الكتاب في بيتك؟

- أنا مذبذبة وسأؤتوب عن فعل المنكرات. ولكن هذا لا يبيح لك أن تنقذني بهذا الشكل أو تتعامل مع المصحف بقلة الاحترام.

- أعتذر منك يا سيدي، فأنا لست على ما يرام.

تغير تعابير وجهه ليصرخ:

- يا ساقطة! ليس لك من توبة.

- ماذا بك يا "محمود"؟ أنت لست على ما يرام.

- لا تقتريني مني وببذك هذا.

ويشير إلى المصحف.

- أنت ممسوس يا "محمود".

- أنت مجنونة، سأغادر حتى لا يصيبني ما أصابك.
- تمهل، أنت تحتاج إلى رقية.
- وتدفع نحوه لتوقفه وهو يهرول ليخرج من المنزل، فتعيق سيره ليدفعها جانبا ويختفي عن ناظرها.
- لم يسمعها وهي تستجدي به وتقول:
- توقف يا "محمود" أرجوك.

- "ظلال على وجه القمر"، أريد هذا الكتاب.
- لا يوجد كتاب بهذا الاسم. ما موضوعه؟
- هذا الكتاب من أهم الكتب التي تتناول علوم الحقيقة. ولا يقتنيه إلا العالمون.
- أعذر منك، لا أستطيع مساعدتك.
- يتذكر "حاتم" بحثه الحثيث عن هذا الكتاب، كم من مرة يغادر وقد أصابه الإحباط. لقد بحث عن هذا الكتاب في كل مكان بلا جدوى. أخبره عنه الشيخ "غريب" حينما كان يرتاد مجلسه.
- وبعد بحث مطول في الشبكة المظلمة وجده في أحد المواقع ولكنه كان بسعر مبالغ فيه. لا يملك مثل هذا المبلغ. يجب أن يقوم بتوفير بعض المال من عمله في أحد المطاعم كمندوب توصيل طلبات المنازل. وفي أحد المرات التي قام فيها بالقدوم إلى أحد البيوت. فتحت له الباب فتاة آية في الجمال وأجزلت له العطاء. وقبل أن يغادر لاحظ وجود علامة يعرفها جيدا معلقة على الحائط في إطار خشبي دائرة داخلها مثلث وداخل المثلث النجمة الخماسية. إنها رمز الظلال.
- فقال لا إراديا:
- ظلال على وجه القمر!
- ماذا قلت؟
- معذرة يا سيدتي لقد استرعت انتباهي هذه العلامة.
- هل تعلم معناها؟
- وبكل حاسة قال:
- نعم يا سيدتي، إنها ترمز لأقصى أنواع السحر والرباط بين عالم الإنس وعالم الجن.
- ارتسمت ابتسامة على محياها وأصرت على أن تدعوني لفنجان من القهوة.
- هل تفقه شيئا عن السحر والجن؟
- في الحقيقة يا سيدتي أنا...
- دعك من الرسميات أن أدعي "نورا". فما اسمك؟
- أنا أدعي "حاتم".
- إذاً يا "حاتم" أجب عن سؤالي.
- حسناً يا "نورا" أنا أقف موقف المنكر لكل أنواع السحر.

- هل تنكر وجوده؟
- لا بالطبع أنا أجزم بوجوده بالرغم من أن العلم الحديث لم يجد ما يثبتته ولكني موقن بتأثيره القوي على حيوات الناس. ولكني أقصد بجرمانيته وبعده عن الدين القويم. فسيدنا سليمان، عليه السلام، كان لديه السلطة على الجن وكان يأمرهم فيطيعوه ولم يكن ساحراً ولم يكفر بالله بل كان رسولاً كريماً. أما الجن فهم مخلوقات واعية لها من الطبيعة ما يمكنها من أن تكون خفية عن أعين البشر وتستطيع صنع الكثير من الأشياء. كما فعلت لسيدنا سليمان، عليه السلام، قصور وتمثيل وجفان.
- جميل ما تقول؟ من علمك هذا؟
- لقد تتلمذت على يد أحد الشيوخ العظام، الذين لهم باع في علوم الماورائيات، ولم أكتفي بما لقنته فقط فأنا قارئ منهم للكتب.
- دعني أسألك، هل قابلت جنياً من قبل؟
- أتقصد أن أجلس معه وجهاً لوجه وأتحدث معه؟
- أجل، هل فعلت ذلك؟
- في الحقيقة لم تكن لي فرصة أن أفعل ذلك.
- يعجبني فيك صراحتك وصدقك. لذا سأفصح لك عن سر خطير. أنت ممن يحفظون الأسرار؟
- بالطبع يا "نورا". ولكن دعيني أتكهن بسرك، هل أنت ممسوسة من جن؟
- ضحكاتها كانت تجلجل في الشقة حتى إنه خشي من أن يسمعها أحد الجيران.
- أنت لطيف للغاية. تظن أنني ممسوسة. ما بعثك على أن تقول مثل هذا القول؟
- أنا...
- أنت ظننت وجود هذه اللوحة دليل على وجود جن في الأمر. أليس كذلك؟
- آه... بلى.
- الحقيقة أكبر وأطم من ذلك كله.
- نظرت لي قليلاً ثم قالت:
- هذا ما أقصده تماماً. أنا جنية!
- لقد قرأت ما يدور في عقله قبل أن ينطق به. وتقول أنها جنية. إنها تعبت به بالطبع، هكذا ظن.
- أنا لا أعيب بك. هذا السر كفيف بأن يكلفك حياتك. ستلتقي في مستشفى المجاذيب إذا أخبرت به أحد.
- أنت تقرئين أفكارى.
- أنا لا أفعل، قرينك من الجن يخبرني بما أحتاج إليه.
- ولكن كيف؟

- كيف أعيش بينكم تقصد. أنا محبة للشر وأعشق حياتكم، لذا توسلت إلى أهلي أن أحيا مثلكم حتى وافقوا، وتجسدت في هذه الصورة التي تراها على أن أبقى الأمر سراً. ولقد ضقت ذرعاً بهذه الحياة المملة، أن أحيا وحيدة دون رفيق يشاركني حياتي، ولقد وجدت فيك الرجل الذي أتمناه، فأنا أعلم عنك كل شيء حتى أسراك أخبرني بها قرينك. فهل لك أن تتزوجني وتعيش معي وتحبني وتكون لي عوناً؟
تضع يدها على فمه مستطردة:
- لا تعجل بالإجابة فأنا أعلم أن الأمر مريب. ولكنك ستفهمني وتدرك عظم ما أنت مقدم عليه.

تهض من مقعدها وتجذبني من مقعدي وتقول دعني أريك شيئاً. أرتني الكتاب الذي طالما أردت قراءته. وقرأت على عجالة بعض الأشياء والتي تمت للسحر الأسود. حيث يتم التضحية بشعر لكي يحظى الساحر بالقوة والمكانة.
- هذا كفر!

قال لها لا إرادياً، فأجابتي:

- هذا هو السحر الحقيقي وبه يمكنك أن تصبح من العطاء. أنتظن أن هؤلاء الملوك العظام لم يستعينوا بالسحر لكي يرقوا إلى مثل هذه المكانة؟
- ولكن هذا شرك وكفر بالله الواحد القهار.
- باب التوبة مفتوح، والرجوع إلى الله يكون في أي وقت. وبالمقابل الذي ستحظى به يمكنك أن تدفع تلك الذنوب بالصدقة والإنفاق في سبيل الله ونصرة المظلوم ورفع الظلم عنه. تخيل ما يمكنك فعله بمثل هذه القوة.

أطرق برأسه ووجد نفسه بين نارين. نار العلم ونار القوة. وحن الوقت لكي يختار من بينهما. لا يعلم ما الذي يريده. لقد فتحت له أبواب الدنيا بحذاقها وهو عاجز عن اتخاذ القرار.
فتضيف برقة فائقة:

- أقدر موقفك، لا تتعجل في اتخاذ قرارك، فالوقت كله ملك يمينك وأنا سأنتظرك إلى آخر العمر.

هكذا كان لقاء "حاتم" الأول "بنورا" تذكره وهو في محبسه مع هذا الرجل. أخيراً عاد للعمل، عن هاتفه أتحديث. جرب أن يتحدث إلى "محمود" فلم يجب. حاول الاتصال بأبويه، الشرطة، وحتى "رائد" بلا فائدة. ليقول الرجل:

- نحن لا نخرج لنا من هنا. هواتفنا لا فائدة منها.

- سأتضرع إلى الله أن يفرج عنا كربتنا.

- يا سيدي أنت بعيد كل البعد عن رب العباد بأفعالك الشيطانية. هذا ليس علماً نورانياً كما تدعي. هذا سحر. أنا ألقه في هذه الأمور.

- لم تقول ذلك؟ هكذا علمني شيعي أن هذا علم نوراني أما ما تقول عنه سحر فهو فيه الشرك

بالله بأن يخلع الإيمان من القلب والجوارح.
- أنت وشأنك. ولكن حتى لو سجدت لهم وما زال الإيمان في قلبك فهذا ليس فيه شيء. كما قال الله عز وجل ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلُوبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.
ينظر "حاتم" للرجل وهو يفكر ويسمع صوت "نورا" ويتردد صدى صوتها في نفسه وهي تقول:

- يا "حاتم" لقد حرم علي الظهور أمامك مرة أخرى حتى تنصاع.
أجابها دون أن ينطق فهو يفكر فيما يقول وهي تقرأ أفكاره:
- أنصاع لمن؟
- تنصاع لأي، فأني هو ملك هذه الناحية وأنا مؤتمرة بأمره لا أحيد عنه. وأنت في حضرته الآن ولن يقبلك حتى تسجد له. هذا السجود لا يقصد به العبادة بل هو الاحترام والتوقير.
- ولكنني أشعر بالرهبة من فعل هذا. أظن هذا ذنب عظيم.
- نحن لم نأمرك بإهانة القرآن، ولا بتنكيسه، وكل ما أريده منك أن تخضع لإرادة أبي.
- سأنظر في الأمر.
يقول الرجل:

- هل حزمت أمرك؟
وإذا بصوت مدو يقطع حاجز الصمت. فزع الاثنان وكلاهما ارتجفت أوصاله.
- هذا صوت طلق ناري.
قال الرجل وهو متوتر. وإذا بالباب يفتح.
لم يلاحظ ذلك فكلاهما مشغول بهذا الصوت. حتى رأى "حاتم" بصيص النور الذي يدخل من الباب على استحياء. فصرخ:

- فتح الباب!
ركضاهما الاثنان بعد أن تغلبا على المفاجأة التي أصابتهما. كانا في القبو. لذا تبع النور الذي يشع من الخارج حيث الباب والحرية. ليشاهد "حاتم" الشيخ "غريب" واقفا على مقربة من رجل يرتدي زي الشرطة. وإذا به يترنخ ثم ينهار. يسقط الشيخ على الأرض. ركض "حاتم" صارخاً:
- شيخ "غريب"!
وتدفقت الدماء من ثقب في صدره وعيناه تنطقان بالموت. نظر "حاتم" إلى الشرطي القابض على مسدسه ويتصاعد الدخان منه.

"مهند زيدان" رئيس المؤسسة العالمية للتصدير والاستيراد. هكذا كتبت على قطعة الرخام الموضوع على مكتبه. يتحدث عبر هاتفه:
- ليس هذا شأنني يا "مسعود"، نفذ ما اتفقت معك عليه، وأنا ملزم بهذا الاتفاق.
يأتي صوت "مسعود" أجشاً صارماً ليقول:

- ما اتفقنا عليه كان منذ أسبوع، والأسعار تفاوتت خلال هذا الأسبوع، لذا ازداد السعر.
- ما تفعله هو أعمال صيبانية ولا ترقى لاتفاقات الصفقات الكبيرة.
- هذا ما لدي يا "مهند"، لن أخفض من قيمة الصفقة قدر أئمة. إذا رضيت بهذا السعر فيها ونعمت، وإذا رفضت فلك مطلق الحرية أن تسترد الدفعة التي قمت بسدادها.
- أهذا آخر أقوالك يا "مسعود"؟
- أجل.
- سيكون لي تصرف آخر معك.
- وينهي المكالمة الهاتفية. يستخدم الهاتف الداخلي قائلاً عبره:
- "سليمان" أريدك في أمر جلل... حالاً.
- ويقف أمام النافذة وهو مرسلًا نظره عبرها ليدخل عليه شاب يرتدي بزة أنيقة، يقف على مقربة من المكتب وقفة صارمة ويقول بلهجة لا تخلو من نفس الصرامة:
- أمرك يا سيدي.
- وبدون أن يلتفت إليه يقول "مهند":
- "مسعود" خالف الاتفاق و يطلب زيادة كبيرة يا "سليمان". ماذا نفعل؟
- تغير وجه "سليمان" ليظهر القلق البالغ على محياه ويقول:
- هذه كارثة. سنخسر الكثير من عملائنا إن أخبرناهم بتغير السعر وخاصة أنهم قد سدّدوا جزء من القيمة المطلوبة. أو سنتحمل نحن فارق السعر وستكون حينئذ الخسارة فادحة.
- أعلم ذلك. "مسعود" مصر على السعر الجديد وهو يعلم حاجتي الشديدة لهذه الصفقة فهو يطمع في المزيد.
- هل سنسكت على هذا التلاعب والإخلال بشروط العقد المبرم معه؟ يمكننا التوجه إلى المحكمة والتي من المؤكد ستلزمه بالسعر القديم.
- هذا صحيح ولكن إجراءات التقاضي ستستغرق الكثير من الوقت، مما يعيدنا إلى نقطة عدم التزامنا مع العملاء. وهو يدرك ذلك أيضاً. لذا هو لا يخشى الوقوف أمام القضاء.
- إذا ماذا سنفعل؟
- يلتفت "مهند" إليه قائلاً:
- سيكون لي شأن آخر معه.
- تعود البسمة إلى شفاة "سليمان" والذي انفرجت أساريره وقال:
- فهمت يا سيدي. إذا ساعد لواجب العزاء فيه، وأجهز الأوراق المطلوبة للورثة.
- أحسنت. قم باللازم.
- فيغادر "سليمان" المكتب مسرعاً ويتلقى "مهند" مكالمة هاتفية أخرى، ليقول:
- عزيزتي التي لا تغيب عن مخيلتي أبداً.
- لتقول المتصلة وهي تضحك:

- يا لك من مخادع. هذا ما عهده فيك يا "مهند"، وتجعلني دوماً أضحك.
- لك كل ما ترغبين، ما عليك إلا أن تطلبي، وأمرك سيكون مجاباً.
- ستذهب اليوم، أليس كذلك؟
- بلى، سأكون في الموعد.
- أريدك أن تذهب الآن. ولا تقلق بخصوص "مسعود" فأمره انتهى.
- يتسم "مهند" ابتسامة عريضة ويقول:
- حالاً، سأذهب حالاً.
- هو لا يحتاج أن يتخذ قرار بشأن "مسعود" الآن. ما دامت قالت له فقد قضى أمره. أخذ سترته المعلقة على الكرسي وخرج من مكتبه يريد أن يصل إلى وجهته في أسرع وقت ممكن. انطلقت سيارته بعدما ركب فيها وسارت لمسافة ليست بالقريبة ليصل أمام البيت الذي قاموا فيه بالطوقس، ليستقبله الرجل ذاته الذي استقبله المرة الفائتة. ليسأله "مهند":
- كيف هي الآن؟ ألم تهدأ منذ الاجتماع الأخير؟
- هي على ما يرام. لقد وعدتها بإحضار ما تريد وأن الخطأ كان غير مقصود.
- يتنفس الصعداء ويدخل إلى المنزل ليجد المرأة عينها متخذه العرش مجلساً، فيسجد لها ويقول:
- ملكتي العظيمة أنا طوع بنانك.
- فتقول باستعلاء وأنفة:
- لقد طلبت حضورك اليوم يا "مهند" مبكراً عن الموعد لتقطع لي وعداً.
- أمرك يا مولاتي. لك وعدي قبل أن أعلم بما يفني.
- طاعتك وحبك لعصبتنا جعلتني اختارك بالتحديد. لا يعلم بهذا الأمر سوانا نحن الثلاثة. فما سأقوله ستبقيه سراً وتأخذه معك إلى قبرك.
- سمعاً وطاعة يا ملكتي.
- البيت المهجور ينادينا ويطلب حضورنا.
- تتسع عينا "مهند" رعباً فيقول:
- ولكن... ولكن يا سيدتي نحن عقدنا هدنة معهم وانتهينا من العداوة بيننا وبينهم وتعاهدنا على أن لا نلتقي مرة أخرى.
- لقد جد جديد. الشرطة تضع أنفها وتريد اقتحام المنزل.
- هم من تسببوا في هذا. لقد أخبرناهم أن يبقوا أمورهم سراً ولا يعلنوها ولكنهم أبوا إلا أن يفرعوا الناس ويرعبوهم ويعرف عن هذا البيت أنه مسكون.
- ونحن لن ندع الشرطة تتدخل في شؤوننا. أريدك أن تعيقهم وتوقف هذا الأمر بأي طريقة.
- أنت لك صلاتك مع متخذي القرار.
- حسنا يا مولاتي، سأحاول.
- لا تقل سأحاول! بل ستفعل ما أمرك به. أليس كذلك؟

- بلى... بلى يا مولاتي.
- وأنت يا "سليم" ستشجذ كل القوى لتتدخل إذا ما لزم الأمر. نحن مقبلون على حرب حامية الوطيس ولن ندع لهم مجالاً لكي يتحدوا نفوذنا وسلطاننا. هيا اذهبا.

في السيارة عبر هاتفه يتحدث "مهند" إلى "أروى" قائلاً:
 - أنا في معضلة وأحتاج إلى كل عون ممكن. ما تطلبه "فدوى" صعب المثل. كيف لي أن أوقف الشرطة من اقتحام البيت المسكون؟ ولا أدري ما الذي دفعهم في هذا التوقيت أن يخططوا لهذا الاقتحام.

- لا تقلق يا حبيبي فكل ما ترغبه مجاب. سأتيك بالخبر اليقين.
- دقائق ویرن جرس الهاتف، لقد كانت "أروى" مرة أخرى:
- وُجدت جثة في المكان مطعونة وجاري التحقيق في ملابسات الحادث. كما أن هناك رجل تهجم على رئيس الشرطة وكاد أن يقتله، فأرداه الأخير صريعاً. كما أن شاب قال أنه أحتجز في القبو مع شخص آخر وأن قام بحبسه داخل المنزل يختبئ، مما دفع الشرطة لوضع الخطة لاقتحام البيت. الموضوع جد خطير. والشرطة عازمة على الاقتحام مهما كانت العواقب.
- كيف إذاً تنبها عن فعل ذلك؟
- نشغلها بأمر أكبر.

- مثل ماذا؟

- مثل اختفاء رئيس الشرطة. سيبدلون كل طاقتهم في البحث عنه. ولن يلتفتوا إلى البيت حالياً. ولن يجده إلا بعد فترة طويلة يكون البيت فيها بأمان.
- فكرة عبقرية! سنشرع فيها على الفور. وماذا عن "مسعود"؟
- لا تقلق، فكما أخبرتك سأتولى أمره بنفسي.
- سأنسق الأمر مع "سليم".
- حظاً سعيداً.

- اهدأ يا أبا "عماد"، لا تحزن كل هذا الحزن. لو أخبرتي بما يسبب لك كل هذا الضيق والأسى، لكنك علمت كيف أواسيك.
- لا بأس بحول الله يا أم "عماد"، أنا على خير ما يرام.
- أنا أعرفك جيداً وهناك خطب ما يورق وجدانك. هيا تناول الطعام، لقد أصابتك النحافة لقليل طعامك. واليوم أنت زاهد في الطعام ولا تريد أن تقر به.
- الحمد لله، لقد شبعت.
- فتقول مازحة:
- تناول طعامك ولا ساجعل "عماد" و"سعاد" يطعماك غضبا.

يضحكان فتقول "إصلاح":

- هكذا تكون الشيخ "محمد" الذي أعرفه، مبتسماً ودوداً شجاعاً ومقدماً.

- إنها صلاة العشاء. لقد حان وقتها.

- أستحلفك بالله أن تأكل شيئاً قبل الذهاب للمسجد.

- سأكل يا أم "عماد"، لا أستطيع أن أتغلب عليك أبداً.

ويتلفت حوله ليستطرد قائلاً:

- أين "عماد"؟ هل تجهز لأداء الصلاة؟

- لعله يستذكر دروسه. سأذهب لأخبره.

يتناول "محمد" الطعام ويأتي "عماد" ليقول:

- أنا مستعد للصلاة يا أبي.

- بوركت يا ولدي. هيا بنا.

ويسيران للمسجد ويصلان وقد صدح المؤذن بالنداء. كان الزحام شديداً عن المعتاد. فأيقن "محمد" أن هناك ميت والناس قد اجتمعت للصلاة عليه. قابل "علي" "محمد" ليخبره أن الميت هو "غريب". استرجع "محمد" وقال:

- إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد صادفته اليوم بعد صلاة الفجر وكان على ما يرام. كيف مات؟

- إنه لقي حتفه رمياً بالرصاص. رئيس الشرطة بذاته هو من أرداه. وهو حالياً قيد التحقيق معه فيما نسب إليه. وهو يدعي أن "غريب" حاول قتله.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد حذرته من مغية التعامل مع الكهنة. أنا لن أصلي عليه.

- يا شيخ "محمد" إن الله غفور رحيم. وهؤلاء كلهم يريدوه أتوا للصلاة عليه ودفنوه.

- لماذا لا يصلون عليه في بلدته؟

- إنه أوصى بأن يدفن في المكان الذي يموت فيه. وهؤلاء كلهم يريدون دفنه عند البيت المهجور

كما كانت وصيته. ويبحثون عن صاحب البيت ليشتروا منه البيت أو حتى جزء من الأرض

ليقيموا عليه مقبرة تليق بشيخهم ومريديه.

- يريدون أن يجعلوه شهيداً ويقموا مسجداً على قبره. أليس كذلك؟

- في الحقيقة...

- لا تنكر يا "علي"، فأنا لم بعقلية هؤلاء وأعلم تماماً كيف يفكرون. كما قلت لن أصلي عليه

ولن أتبع جنازته.

وينظر إلى ابنه ويقول:

- هيا يا "عماد" سنصلي في مكان آخر.

حاول "علي" أن يثنيه ولكن بلا فائدة. اصطحب ابنه لمسجد آخر وانطلقا معاً بعد الصلاة إلى

بيت أمر الشرطة.

كلها لحظات ويحجب الخادم. فأخبره بأن سيده لن يستقبل أحداً. فعاد "محمد" وابنه للسيارة.

وقبل أن يصل يلحقه الخادم راکضاً ويقول:

- قلت لي أنك الشيخ "محمد". أليس كذلك؟
- بلى!

- أعتذر منك يا سيدي، لم أعرفك حق المعرفة. تفضل يا إمام فسيدي في انتظارك.
يعودون أدرأهم ليجدوا "مؤمن" في استقبالهم. وبالرغم من الحزن الذي بدا على وجهه، فكان يستقبل "محمد" بسعادة بالغة، ويصاحبه بحرارة ويقول:

- أنا في غاية الحبور بلقائك يا إمام.

ويصافح "عماد" ويستطرد قائلاً:

- وأنت أيها الوسيم، ما اسمك؟

- "عماد" يا سيدي.

- مرحبا بك يا "عماد". تفضلاً، أرجوك، إلى الداخل.

يتخذون من مقاعدهم مجلساً، ليقول "محمد":

- هل أنت بخير يا سيدي؟

- نعم يا شيخ "محمد" أنا في خير حال؛ ولكي أدين لك بجزيل الاعتذار. لقد أخطأت حين وثقت في ذاك الرجل.

- لا بأس عليك يا سيدي بإذن الله. قدر الله وما شاء فعل.

ينتهد "مؤمن" ويقول في حزن:

- ما رأيته كان للجنون أقرب. في البداية كان "غريب" هذا متحمساً للدخول بشدة، وقال

عنك أنك خسرت الكثير بذهابك. وبدون سابق إنذار اعترض على الدخول وقال إنه لا

يستطيع فعل ذلك. وحينما قلت أنني سأدخل حاول منعي وهددني بمسدس لم يدر بخلائي أنه يحمله. وكاد أن يردني قتيلاً، لولا أنني أرديته أولاً.

- هذا شيء غريب، كان يحمل مسدساً طوال الوقت.

- هذا ما حدث وما زلت أشعر بالصدمة مما رأيته. كان الموت أقرب إلي مما أتصور.

- أطال الله في عمرك يا سيدي وبارك فيك. فما العمل الآن؟

- لقد أعطيت أوامري لرجال الشرطة أن يستعدوا لاقتحام البيت. سنزيل هذا الغموض الذي يكتنفه وسأستخرج السحر مما كلفني الأمر.

وكأنه تذكر شيء فيستطرد:

- كنت أود أن أسألك، كيف علمت بمكاننا؟

- ألم أقل لك إن رحمة الله قريب من المحسنين.

- صدق الله العظيم.

- لقد حلمت بحلم و...

يدخل عليهم الخادم وهو يصيح قائلاً:

- سيدي... سيدي...
- ماذا بك؟
- إنهم بالخارج.
- من بالخارج.
- نحن!
- يقولها ملثم يتشح بالسواد من رأسه إلى أخمص قدميه، ويهوي على رأس "مؤمن" بشيء يمسكه في يده، ليسقط على الأرض فاقدًا للوعي. وقبل أن يتحرك "محمد" كان آخر يمسك "بعاد" ويقول للأول:
- لا داعي للشجاعة فهذا الولد سيعاني.
- يتراجع "محمد" ويرفع يديه أمام وجهه قائلاً:
- لا تؤذيه أرجوك.
- هيا تقدم معنا. وأنت أيضاً.
- ويشير الملثم الأول إلى الخادم بسلح ناري يحمله.
- ويحمل ثالث ضخّم الجثة جسد "مؤمن" ويغادرون جميعهم.
- *****
- أريد شيئاً من ملابسه أو شعره.
- كان هذا الشيخ "مبروك" ويجلس أمامه "أشرف" ليخرج الأخير قطعة قماش يعطيها له.
- هذه القطعة من القماش انتزعتها من ملابسه.
- سستفي بالغرض.
- "مبروك" أريد عملاً يؤدي به إلى التهلكة. أريدك أن تبذل كل ما تستطيع فعله ليعاني.
- دعني أتساءل، لماذا كل هذا الحقد على "خالد" هذا؟
- لقد أهانتني إهانة لا تغتفر أمام زملائي ورئيسي في العمل، وأنا لا أقبل الإهانة.
- ولكن هذا سيكلفك أكثر من هذا الذي صنعتته لرئيس الشرطة.
- لا بأس سأعطيك كل ما تريد.
- ولا تنسى أن تضعه في مكان لا يستطيع الوصول إليه أحد.
- لا تقلق سأفعل ذلك.
- وهذه جزء من النقود حتى تتم العمل وأرى عذابه بملء عيني.
- نظرات الجشع ارتسمت على عيني "مبروك" والذي أخذ النقود بلهفة وقال:
- أشكرك يا سيدي. ستجد حتماً ما يسرك.
- وينهض "أشرف" من مجلسه ليقول:
- سأعادر الآن، لدي الكثير من الأعمال لكي أؤديها.
- صاحبك السلامة يا سيد "أشرف".

ويرافقه "مبروك" إلى خارج الغرفة التي امتلأت بالدخان لينصرف ويقول الأخير:
- يا له من أحق!

لحظات وتدخل عليه امرأة ومعها فتاة في سن الشباب.

- مرحباً بك يا "أم رضوى". كيف حالك يا "رضوى"؟
فتقول الأم:

- إنها ليست على ما يرام منذ عدة أيام. تشعر بالغثيان والإرهاق.

- إنه باد على محياها. ستحتاج إلى جلسة جديدة لنخرج منها هذا الجني اللعين الذي يعشقها.
- هذا ما ظننته.

- هل أحضرت الذبيحة التي أخبرتك بها؟

- نعم، كبش أملح تركته بالخارج مع زوجي.

- هيا أحضره. هذا الجني لن يخرج إلا بالذبيحة.

ويقوم "مبروك" بالطقوس ممسكاً في يده بسكين كبير. فقام بالتلفظ بكلام ليس بالمفهوم والرقص والقفز حول "رضوى"، التي استسلمت تماماً لما يحدث حولها. وفجأة نحر عنق الكبش ودماؤه تنهمر على رأس "رضوى" التي كانت بالقرب من الأضحية. فتصرخ فرعاً و"مبروك" يستمر في الدوران حول الذبيحة و"رضوى".

ينهي "مبروك" يومه وقد وضع أمامه كومة كبيرة من النقود وأخذ يحصيها، ويضع كل مجموعة في رزمة. وفي حفرة في الأرض في أحد جوانب الغرفة، وضع صندوقاً كبيراً، وقام بتغطية الحفرة بقطعة خشب ومن فوقها سجادة، وفي داخل الصندوق الرزم النقدية متراصة. فيضيف الجديدة منها داخله.

يوقف ما كان يفعله لينصت. هنالك صوت ما في منزله. بسرعة يغلق الصندوق ويعيد السجادة إلى مكانها. ويصيح:

- من بالخارج؟

وما من إجابة!

يمسك بعضاً غليظة ويسير بهدوء وقد استجمع شجاعته ليغادر الغرفة ويردد:

- هيا أظهر نفسك.

يسمع الصوت نفسه ولكن هذه المرة من جهة الغرفة، فيعود أدراجه ولكن باب الغرفة ينغلق دونه. فيركض ويحاول فتحه بلا جدوى.

- هيا افتح والا كسرته.

ويحاول أن يخترق الباب ولكنه يفشل في كسره. فقد قام بجعله سميكاً ليحفظ كنزه في غيابه.

وانته فكرة أن يقفز عبر النافذة التي تركها مفتوحة. وحينما خرج إلى خارج البيت لينظر فوجدها مغلقة. هناك من أغلقها.

- اللعنة!

يبحث عن هاتفه ليتحدث إلى "مرسي"، هو الذي سيحطم الباب ويمسك بالصل. ولكن الهاتف تركه داخل الغرفة.

يعود أدراجه فيجد باب المنزل قد أغلق هو الآخر. فيطرقة بقوة ويصرخ:

- أيها الصالح الحقيّر! افتح الباب وسأوسعك ضرباً.
وما من مجيب.

ليحزم أمره، سيمسك أمام البيت ولن يبرح حتى يمسك بهذا الص.

وتمر الساعات وهو مرابط أمام الباب ويغالب النوم الذي يداعب جفونه.

يفتح عينيه؛ يد تربت على كتفه ويقول صاحبها:

- شيخ "مبروك"! ما الذي حملك على أن تنام هنا؟
لقد غلبه النعاس!

ينظر إلى باب المنزل ليجده مفتوحاً على مصراعيه. فيهرع إلى داخل البيت فإذا بباب الغرفة مفتوحاً أيضاً وقد ظهرت الحفرة وتحلف فيها الصندوق فارغاً. ليصرخ بأعلى صوته وهو يلطم خديه:

- يا ويلي، يا ويلي.

لا يلتفت للقاتل:

- ماذا بك يا شيخ "مبروك"؟ لماذا تلطم على خديك كالنساء؟

فيجلس الأخير على ركبتيه ويضع وجهه بين راحتيه ويكي. ينظر إلى الوافد الجديد ويقول في أسى:

- لقد خسرت كل شيء يا "مرسي". خسرت كل ما كنزته. لقد سرقت!

- كيف حدث هذا؟ من فعل بك ذلك؟

- لا أدري، لا أدري.

- فلنرفع الأمر للشرطة. لي صديق عزيز يمكنه أن يساعدنا.

- لا أريد أن يعلم الناس بهذا الأمر.

- لا تقلق سنكتم الأمر ولن يعرف أحد.

- ولكن...

وبدون أن يدع له فرصة الاعتراض يتحدث "مرسي" عبر هاتفه ليقول:

- كيف حالك يا عزيزي "خالد"؟

فيقول "خالد":

- أنا في خير حال والمحمد لله. أنت الذي تتناساني.

- لا والله، أدركك دوماً بكل خير ولكنني أستحي أن أشغلك بمشاكلي.

- لا تقل مثل هذا الكلام يا "مرسي". أنا أخوك وكل ما يحزبك يشغلني.
- هذا دوماً عهدي بك. أحتاجك في أمر ملح. لقد سرق جار لي وهو رجل مشهور. ربما تعرفه أنت أيضاً، الشيخ "مبروك"، وهو الآن لا يعرف ماذا يفعل. وهو لا يريد الذهاب إلى الشرطة لأنه لا يجب الرسميات كثيراً، ويريد أن يبقى الأمر سراً.
- سأتيك على الفور. أخبره أن لا يقلق سأسترجع له ماله بإذن الله.
- جزاك الله كل خير أخي العزيز "خالد".
- وينظر إلى "مبروك" الذي ما زال منهاراً من البكاء ويقول:
- لا تقلق يا شيخ "مبروك" سيسترجع "خالد" مالك.
- ينظر إليه "مبروك" نظرة أمل بعينه الممتلئتين بالدموع ويقول:
- أحقاً ذلك؟
- بإذن الله.
- ويصمت "مرسي" قليلاً ثم يقول في حياء:
- أتعجب من أن يقوم أحد بسرقتك يا شيخ وأنت رجل صاحب كرامات والكل يهابك ويخشى غضبك. وكيف لك ألا توقفه أو تمنعه وأنت أنت الشيخ "مبروك"؟
- لم يجر الأخير جواباً فيردف "مرسي":
- لا بأس، لا بأس، فكلنا عرضة لهذا الأمر.
- ينفذ "مبروك" عن حزنه ليقول:
- أرجوك يا "مرسي"، ابقِ هذا الأمر سراً، فلو علم الناس بذلك سيفقدون الثقة في.
- هذا ليس من شبيبي يا شيخ "مبروك". ثق في ذلك.
- وبينما هما كذلك تدخل عليهما أم "رضوى" لتمسك بتلابيب "مبروك" وتهال عليه صفعا وضربا وتحاول "مرسي" جاهداً أن يوقفها دون جدوى، وتصرخ قائلة:
- لقد قتلتها، لقد أمتها.
- أيتها المجنونة! توقفي! توقفي!
- وأخيراً يمسك بها "مرسي" ويضمها بقوة ويبعدها عن "مبروك" لتتهدم في البكاء وتصرخ:
- حفيدي ضاعت، لقد ماتت بلا جريرة إلا أنني صدقت هذا المخادع. لقد كانت "رضوى" حامل وتعاني من فقر الدم، هذا ما قاله الطبيب، ولكن هذا الكاذب ادعى أنها ملبوسة بجني.
- وتخلع نعلها وترمي "مبروك" به. وتصرخ:
- أخزك الله يا ملعون.
- فيصرخ الأخير قائلاً "لمرسي":
- أخرجها من هنا يا "مرسي". إنها امرأة مجنونة.
- فيجرها الأخير جراً اتجاه الباب وهي تعاند وتريد النيل من "مبروك". وأخيراً ينجح "مرسي"
- ويغلق الباب خلفها.

- ممسوس! أي مس هذا تقوله "لمياء". إنها هي المجنونة.
يحدث "محمود" نفسه وهو يمشي في الشارع بصوت مرتفع، وبعض المارة قد استرعى انتباههم ما يقول.
- أتتحدث عن مس الجن، أليس كذلك؟
قالها له أحد المارة الذي تتبعه وهو منصت لما يقول. فيجيبه "محمود" بجفاء قائلاً:
- وما شأنك أنت؟
- اعتذر منك! لم أقصد أن أبدو متطفلاً ولكن ما كنت تقوله قد استرعى انتباهي.
- وهل تؤمن بمس الجن هذا؟
- في الحقيقة أنا صحفي وأدعى "أشرف" وأقوم بعمل تقرير حول الجن واتصالهم بعالم الإنس ولي باع طويل في هذا المجال. إذا أردت مساعدة فأساعد بذلك.
ويعطيه ورقة صغيرة مدون فيها بياناته الشخصية. ينظر فيها "محمود" ويحمر وجهه خجلاً، ليقول:
- اعتذر منك لتعاملي معك بجفاء كوني مرهق قليلاً.
ويلوح "أشرف" بيده ليقول:
- لا تبعاً لهذا الأمر، فطالما مررت بمواقف مثل هذه. لا تنسى الاتصال بي إذا أردت مساعدة.
وفيا يخص مس الجن فقد ذكر في القرآن ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ فهو حقيقة.
- لقد نسيت هذه الآية رغم أنني أحفظها.
ويتعد "أشرف" ويشير إليه بيده قائلاً من بعيد:
- هاتفني.
- ينظر "محمود" في قطعة الورق ويضعها في جيبه. يعلو صوت رنين هاتفه، فيتجاهله تماماً. لقد كانت "لمياء" تحاول أن تحدّثه. ومع إصرار المتصل، جعله ذلك يلقي نظرة عليه ليرى اسم "حاتم". فيشرق وجهه ويحييه بقوله:
- أين أنت يا صديقي العزيز؟ لقد افتقدت إليك أيها المأفون.
- أين أنت يا "محمود" لقد حاولت الاتصال بك مراراً وتكراراً ولكن دون فائدة.
- أجبت على اتصالاتك ولكنك لم ترد. أين أنت سأتيك؟
- أنا أمام منزلك.
- سأتى حالاً
- في انتظارك.
- وينهبان المكالمة، ليعود "محمود" أدراجه. وخلال الطريق ما زال يشعر بأن ذهنه مشلول. لا يستطيع أن يفكر بعمق أو يسترجع بذاكرته ما حدث. ولكنه سيتحدث مع "حاتم" وسيجدان سوياً حالاً لما هو فيه.

وحجاة يسقط "محمود" من كرسيه في الحافلة التي استقلها إلى بيته ويرتحف بقوة كمن أصيب بالصرع. وحاول باقي الركاب أن يسعفوه بشتى الطرق.

ينظر "حاتم" في ساعته، لقد مر ما ينيف على ثلاث ساعات ولم يظهر "محمود"؛ يحاول الاتصال بهاتفه ولكنه لا يجيب. لقد حزم أمره؛ سيعود إلى منزله وسيأتيه في وقت آخر.

في البيت، يخلع ثيابه ويلقيها على السرير، ثم جلس يفكر في هذا اليوم الصعب. يخرج بعض الكتب القديمة من مكتبته الصغيرة ليقراً فيها ويبحث أكثر عن سحر الظلال هذا وما علاقته بالقمر. كل ما يعلمه أنه حين يكون القمر متعامد على مكان محدد تقام طقوس تضحية بشرية وبذلك يحظى مقم الطقوس بتنازع مع الجن ويحظى بخدمتهم، ويصبحوا قادرين على التجسد والعيش مع البشر بأعداد غفيرة. "نورا" نفسها تجسدت بعدما خضعت لطقوس مشابهة هذا مؤكداً. أين هذا المكان؟ إجابة هذا السؤال عند "نورا"، ولكنه اكتفى منها ومن أبيها المجنون بالسجود له. حاول الاتصال مرة أخرى "بمحمود" ليجيبه صوت بدا غريب عليه، وليس بصوت "محمود"، وإذا بالمجيب يقول:

- صاحب الهاتف أصابته وعكة مما جعلته عاجز عن النطق والحركة ولكنه بخير الآن وسيجيب عليك. لحظة واحدة. "أكرم" هناك من يريد أن يتحدث إليك.
استرعى سمعه اسم "أكرم". فمن "أكرم" هذا؟
- أجل. من المتصل؟

لقد كان الصوت غريباً لم يكن صوت "محمود" مما جعل "حاتم" ينظر مرة أخرى إلى هاتفه! هذا رقم "محمود" لا ريب! ترى هل سرق هاتفه؟ فقال بتلقائية:
- "محمود"، هل أنت بخير؟
فكان الجواب غاية في الغرابة:

- "محمود"! من تقصد "بمحمود"؟ من المؤكد أنك تريد شخصاً آخر.
- هل لي أن أسأل إلى من أتحدث؟
- أنا "أكرم". هل هذه الإجابة تنفي بسؤالك؟
- معذرة يا سيد "أكرم"؛ هل لي أن أستفسر عن شيء آخر؟
- تفضل.

- هل على رسغك الأيمن شامة على شكل هلال؟
لا أدري ما الذي دفعني لكي أسأل هذا السؤال، ولكنني شككت أن محذثي هو "محمود". لزم "أكرم" الصمت ولم يجب على الفور، ولكن في النهاية كانت إجابته:
- نعم، وماذا في هذا؟

- أين أنت الآن يا مح.. أقصد يا سيد "أكرم"؟
- أنا مضطر لكي أنهي الاتصال لأسئلتك الغريبة التي لا أفهم مغزاها.
- انتظر يا سيدي أرجوك. أريد أن أقابلك لأمر هام. لك أن تقول يعني حياة أو موت.
- يا سيدي، أنا لا أعلم حتى إلى من أتحدث.
- أعترف منك يا سيدي، هذه وقاحة مني، أنا أدعى "حاتم" وأنا أحتاج إلى مساعدتك، فلا تخذلي يا سيدي، أرجوك.
- يبدو أنك في ضائقة ما، لا بأس سأقابلك بعد نصف ساعة في "مقهى السعادة"، هل تعرفه؟
- نعم، نعم. سأكون في الموعد.

- "فريد"... هيا استيقظ.
- يفتح عينيه ويجوار فراشه الساعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل. يفركهما ويتشاءب بعدها وما زال النوم يداعبه فيقول:
- لم يحن الوقت بعد، هيا اتركني.
- فإذا بالفراش يهتز بقوة كالذي ضرب بزلزال. فيقفز منه فزعاً ويقول:
- أنا أسف! والله ما قصدت سوء. لقد كنت... كنت نائماً...و.
- يتلفت حوله لعله يجد من يتحدث إليه، ولكن الصمت كان يشمل أرجاء الغرفة.
- يتوجه إلى دورة المياه ليغتسل فإذا بباب الشقة يطرق. توجس في نفسه خيفة. هل عادوا مرة أخرى. فيفتح فرجة من الباب ليرى من الطارق. لقد كانت مفاجأة مدوية.
- "عثمان"!
- هكذا صرخ "فريد" وهو يرى صاحبه ماثلاً أمامه. لم يصدق عينيه، فأخذ يفركهما وهو ما زال لا يتلغ الحقيقة الماثلة أمامه، أن صديقه ما زال على قيد الحياة.
- لقد كنت ميتاً. لقد رأيتك وأنت تفقد روحك، فكيف عدت إلى الحياة مرة أخرى؟
- من قال أنني مت؟ إنها كانت إصابة بالغة ولكنها لم تكن مميتة.
- ويكشف عن مكان الطعنة وقد تم تطبيبها. ويستطرد قائلاً:
- ألن تدعوني للدخول؟
- يا لوقاوتي! تفضل يا "عثمان" المكان مكانك، وأنت لا تحتاج إلى دعوة.
- يلج ويتخذ من أحد المقاعد مجلساً، ويقول "فريد" بشغف:
- هل أحضرت الحلي؟
- أتقصد ما سرقناه من ذهب وجواهر؟
- أجل، هل جئت بهم؟
- يقول "عثمان" بصوت مرتفع:

- لا لم أفعل! لابد لنا أن نعود إلى البيت لنسترجعهم.
- اخفض من صوتك.
- لماذا؟ هل هناك أحد في الداخل؟
- يقول "فريد" بارتباك:
- لا، ولكن أخشى أن يسمعنا الجيران.
- تجلى عدم الاقتناع على وجه "عثمان" ولكنه يرضخ فيغضض من صوته ويقول:
- هل ستعود معي؟
- س... دعني أفكر. لقد نجونا من هذا البيت بشق الأنفس فكيف لنا أن نعود مرة أخرى؟
- هل ما زلت تعتقد بالجن وتلك الخزعات؟
- أرجوك يا "عثمان" لا تسبب لي المشاكل بالتفوه بمثل هذا الكلام.
- أي مشاكل أيها الأحق؟ هل تخشى أحداً في البيت وتخشاه.
- وينهض من مقعده ليتفقد المكان. ليتعجب من أحوال الملابس الملقاة على الأرض، والطاولة التي كسرت وألقت جانباً. فيسأل قائلاً:
- ما الذي حدث هنا؟ لماذا تحول مسكنك إلى كوم من القمامة هكذا؟
- لقد اقتحمت الشرطة المكان لتلقي القبض علي وقاموا بتفتيش المكان ولم يبقوا شيئاً في مكانه.
- إذا إنهم يبحثون عني أنا أيضاً لا ريب.
- هذا من المؤكد، خذ حذرك.
- يتدارك "فريد" الموقف بقوله:
- هل لاحظك أحد وأنت ترتقي إلى هنا؟
- لا أعرف!
- اللعنة! لقد وضعوا رقابة على البناية ولعلمهم علموا الآن بوجودك. دعنا نرحل من هنا بسرعة.
- ويتخذ الاثنان من الباب الخلفي مخرجاً ويهرعان بالابتعاد قبل أن تصل قوات المداومة. يستقلان سيارة كانت واقفة على بعد مبنيين من مسكن "فريد". ويقول "فريد" ويسأله "عثمان":
- أين سنذهب؟
- إلى البيت المهجور.
- ألا تخشى من العفاريت والجن؟
- "عثمان"، أرجوك، أنا مقدم على فعل هذا وقلبي يكاد يقفز من صدري، فلا تنثير قلبي أكثر.
- يصلان إلى مقر البيت الذي بدا مرعباً أكثر من ذي قبل. وضوء القمر ينعكس على سطحه يوحي بمزج من الطمأنينة والذعر في آن واحد. وبالرغم من وجود حاجز أمني مكان مقتل "مبروك"، وتقف سيارة شرطة بالجوار، فالمكان موحش بهدوءه القاتل.
- هذه سيارة شرطة لمنع دخول المتطفلين. ما الذي حدث في المكان ليسترعي انتباه الشرطة؟

قالها "فريد" في وجل. ولكن "عثمان" كان له رأي آخر.
 - تلك السيارة خاوية. لن تجد فيها أحد.
 فيقترب "فريد" من سيارة الشرطة، وبالفعل يجدها شاغرة. فينظر إلى "عثمان" الذي ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يقول:
 - ألم أقل لك؟ الفرصة سانحة لاسترجاع ما فقدناه.
 - أنا لن أدخل.
 - ماذا؟ إنك تمزح، أليس كذلك؟
 - لقد توعدني بالعذاب إن خطوت داخل هذا البيت مرة أخرى.
 - من الذي توعدك بالعذاب؟
 - سيد هذا البيت.
 - لقد رحلوا جميعهم عن هذا البيت وتركوه. فمن هذا السيد؟
 - إذا أردت أن تذهب، فلك أن تذهب دون أن أغادر السيارة، سأنتظرك هنا.
 - يا لك من جبان رعديد. سأذهب ولكنك لن تحصل على نصيبك من المجوهرات. ليس لك الحق فيه.
 ويغادر السيارة مغاضباً ثم يغلق الباب بقوة ويتوجه إلى مدخل البيت متخطياً الحاجز الموضوع. ويتجاوز الشرائط الملونة المدون عليها ممنوع الدخول، ويفتح الباب ليختفي أثره داخل المنزل.
 يجلس "فريد" متربحاً حدوث ما لا يحمد عقباه. ولكن الهدوء استمر بالرغم من مرور أكثر من عشرين دقيقة. لاحظ قدوم أحد من بعيد اتجاه السيارة. لم يربعه إلا أن وجد القادم لا ظل له. فاختبأ أسفل المقعد وهو يرتعد. صوت الأقدام تقترب، ومع كل خطوة قلبه يكاد أن يتوقف. يندفع راكضاً اتجاه المنزل ويتبع رفيقه إلى الداخل والبدر شاهد على ما يفعلان.

هما جلوس على كرسي مقابل النهر حيث الجسر القابع بين الضفتين، لقد كانا زوجان يريدان أن يقضيا بعض الوقت تحت أضواء القمر و يستنشقان نسيم المساء العليل، تقول الزوجة:
 - ليلة القمر المستدير.
 - تقصدين البدر.
 - أجل، أجل، وأيا لها من ليلة.
 - هل رأيت الذي حدث؟ انظري إلى القمر.
 - ما الذي تراه غر... يا لعمرى هنالك ظلال تتراقص على سطحه، أراها بادية وواضحة تماماً.
 - هذا غريب. سألتقط له صورة.
 ومجرد أن قالها تنقشع الظلال ويعود سطح القمر مضيئاً مرة أخرى. وهما يحقدان في القمر تأتي أصوات صراخ إطارات سيارة أوشكت أن تصطدم بالإفريز على الناحية المقابلة منها. ويترجل من السيارة رجل يصيح قائلاً:

- لا أرجوك. سأصاع أقسم بك سأكون عبدا ذليلا.
- ما هذه الهرطقة؟ إنه يقول كفرا بالله.
- مما يهرب؟ يبدو أنه مذعور ويخاف من شيء ما.
- ويستمر قائد السيارة في الهرب ركضا حتى يقف على حافة الجسر، ويقفز.
- أصابته الصدمة مما رأيا فلم يبرحا مكانها. وإذا بها تقول:
- ماذا بك؟ اتصل بالشرطة أو افعَل شيئا.
- حاضر، حاضر.
- يتحدث عبر هاتفه وهي تركض إلى المكان الذي قفز منه السائق، تنظر للسائر الذي يخرج من الماء ويمشي بطريقة عجيبية، وتفرح حين يري بصره اتجاهها ويحملق فيها. فتركض هاربة إلى زوجها وتقول:
- "حازم"! يا "حازم"!
- والأخير منشغل بالتحدث عبر الهاتف. وأخيرا ينظر إليها قائلاً:
- ماذا بك يا "نجوى"؟
- لقد خرج من الماء.
- من تقصدين؟ أتقصدين الرجل الذي قفز للتو؟
- فتومئ برأسها موافقة. فيردف:
- إذا لقد نجا من الغرق. هلم لنساعده.
- تهز رأسها بأنها لن تفعل فيسألها:
- ماذا حدث؟
- أنا خائفة. دعنا نغادر ونعود إلى البيت.
- وماذا عن الرجل؟
- ألم تقم بإبلاغ الشرطة، لقد أدبنا واجبنا كما ينبغي. هيا بنا.
- ويقومان بجمع أغراضها، ويوضعها "حازم" في سيارته، ويركان، ويبدأ بتشغيل المحرك، وقبل أن يحرك السيارة يرتقي جسد على الزجاج الأمامي. فتصرخ "نجوى":
- إنه هو.
- لقد ظهرت ملامح وجهه، إنه "رافع"! كان يحاول جاهداً أن يفتح الباب الذي بجوار "نجوى"، وتلقائياً تغلق الأخيرة قفل الباب. وتستمر في الصراخ:
- ارحل من هنا يا "حازم".
- وينجح "حازم" في الإفلات من "رافع" وإسقاطه أرضاً. فتقول "نجوى" وهي تنظر إلى الخلف:
- ما الذي يريد؟ لقد بدا وكأنه يريد أن يؤذينا.
- لا أدري ما كنهه ولكنه لم يكن بشرياً. لقد كان يسير بلا ظل له.
- فماذا كان؟

- لا أدري... آه

قالها حين اصطدمت سيارتها بأخرى تسير خلفها. لقد كانت سيارة "رافع".

- إنه هو يا "حازم". إنه في أثرنا.

- سأحاول الفكاك منه.

ولكن "رافع" كان أكثر تمرسا في القيادة فلم يستطع "حازم" الهروب من ملاحقته.

- احترس! احترس!

وتصطدم سيارتها بقوة بجانب الطريق فتقلب سيارتها وتشتعل فيها النيران. يوقف "رافع" السيارة ثم يترجل منها ويشاهد السيارة المشتعلة ببرود وكأن الأمر لا يعنيه. يعود إلى سيارته لينطلق بها غير عابئ بالسيارات التي وقفت تحاول السيطرة على الحريق المتأجج في سيارة "حازم".

- سيدي! يا سيد "مؤمن"، هل أنت بخير؟

يأتي "محمد" الرد بعد صمت طويل وقد استفاق من فقدانه لوعيه:

- أجل أنا بخير. أشعر ببعض الدوار فقط.

- هل تعلم يا سيدي من هم؟ وماذا يريدون؟

- لا أعرفهم يا شيخ "محمد" ولا أعلم ماذا ينشدون.

- هل تعلم أحد يريد إيذاءك؟

- كثير من المجرمين يمتنون أن أتعرض لمصيبة أو كارثة تحل بي.

- حفظك الله يا سيدي من كل مكروه وسوء. هل أنت بخير يا "عماد"؟

- نعم يا أبي أنا على خير ما يرام ولكني خائف قليلاً. المكان هنا يثير الرعب في النفوس.

- كن شجاعاً يا ولدي وضع ثقتك في الله مولاك، فهو نعم المولى ونعم النصير.

- حاضر يا أبي.

ويسأل محمد الخادم:

- وأنت يا بني؟

- أنا بخير ولكني مصدوم قليلاً.

فيقول "محمد":

- هذا طبيعي فالأمر خطير.

يقول "مؤمن":

- لقد احتجزونا في البيت المهجور، حيث لا مهرب لنا ولا مخرج.

- بالفعل هذا صحيح، لقد احتجزونا في ذاك البيت، كيف علمت يا سيدي؟

- هو المكان الوحيد الذي لن يبحث عنا فيه أحد. هل تصدق ما يشاع عن هذا البيت يا

شيخ "محمد" وأنه تسكنه الجن؟

- ربما يكون هذا الكلام صحيحاً ولكن ليس صواباً هذا الخوف المتأصل فينا من الجن. فهم مخلوقات مثلنا غير مرئيين لنا، منهم الصالح ومنهم الطالح. لقد كان العرب قديماً يستعيذون بهم ويتقربون إليهم خوفاً من أذاهم. ولكن الله عز وجل وضح في القرآن المجيد في سورة الجن أن هذا لم يكن عوناً لهم بل على النقيض كان الجن يزيدونهم رهقاً وشقاء. وفي ظني أن هناك من الظواهر التي ما زالت لم يتضح لها تفسيراً علمياً ترتبط بهم كالأشباح والأرواح الهائمة واستدعائها وغيرها. ما أقصده أنه لا داعي للخوف المفرط منهم وإذا كان العبد مؤمناً بالله متوكلاً عليه ولا يخشى إلا سواه، فسيكون في معيته وحفظه ولن يمسّه سوء إلا بإذنه.

يقول "مؤمن" بنبرة المحقق المستنير:

- هل تلاحظ يا شيخ "محمد" أننا تركنا بلا حراسة؟ فبالرغم من هذا الظلام الدامس ولكني لا أسمع صوتاً لأحد هؤلاء الرجال.

فيجيبه "محمد":

- لعلهم خائفون.

- هذا في صالحنا، لو أمكنني فقط تحرير يداي من وثاقها لكنت قادر على التخلص مما نحن فيه.

يصمت "مؤمن" ليستطرد قائلاً:

- هل سمعت ذلك يا شيخ "محمد"؟

- لا يا سيدي، ماذا هناك؟

- هناك وقع أقدام تقترب، يبدو أننا لسنا وحيدين.

- ربما هم الحافظون أنفسهم.

- لا، هذه صوت خطوات لأقدام صغيرة.

- ها أنا أسمعها الآن. إنها تبتعد.

تمر الساعة تلو الساعة ولم يظهر أحد من الحافظين. فيقول "مؤمن":

- شيخ "محمد"، ألا تتلو شيئاً مما تحفظ من القرآن، لعل الله يجعل لنا مخرجاً.

- فكرة حسنة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن﴾.

وما إن تلا "محمد" بضع آيات وإذا بصوت طرق على الحائط والأرضية؛ ولكن "محمد" لم يعبأ واستمر في التلاوة، ليزداد الصوت علواً، وما هي إلا دقائق معدودة ليقتحم أحد الرجال المكان، ويكهم أفواه الجميع، فتستقر الأصوات وتهدأ.

- ممنوع قراءة القرآن في هذا المكان بصوت مرتفع. الزموا الهدوء ولا داعي لفعل تصرفات صبيانية.

يغلق الباب ومعه يسود الصمت والظلام.

- لقد اختفى تماما يا سيد "كريم" ولم يبق له أثر. حتى زوجته ليست بالبيت. يقول الأخير وهو يفكر:
- حتى أنه لا يجب على اتصالاتنا. لا أستطيع أن آمر باقتحام البيت إلا بإذنه. أمهلني كي أتحدث إليها لعلها في مكان ما سوياً. أحضر لي رقمها من سجلاتنا. فيقول الشرطي الذي يقف منتصباً:
- حاضر يا سيدي.
- يذهب لعدة دقائق ثم يأتي برقم الهاتف ويعطيه "لكريم" الذي ينقره على هاتفه ويقوم بالاتصال. يسمع صوتها تقول:
- مرحباً.
- أهلاً بك يا سيدي. أنا "كريم" أعمل تحت إمرة سيدي رئيس الشرطة. هل يمكنني التحدث إليه؟
- أنا في زيارة لأقاربي ومكث هو في البيت. حاول الاتصال به على هاتفه الخاص.
- لقد فعلت يا سيدي وما من إجابة.
- وماذا عن هاتف المنزل؟
- لا أحد في المنزل يا سيدي لقد تأكدت من ذلك.
- هذا يدعو للقلق. سأكلّمه أنا.
- حسناً يا سيدي، أرجوك أبلغه بأنني قمت بالاتصال به بغية اتخاذ بعض القرارات الهامة.
- سأفعل.
- وتنهي الاتصال.
- ما العمل الآن يا سيدي؟
- لا بد أن نفتفي أثره ونعلم أين ذهب. فهو لم يغب أبداً عن العمل منذ قدومه إلى هنا. وغيابه اليوم يثير الكثير من التساؤلات.
- هل هو بالفعل مذنب بقتل ذاك الرجل؟ فقرر الهرب.
- لا تنفوه بمثل هذا الكلام عن القائد. أنا أعرف عن قائدنا أنه شجاع ولا يخشى المواجهة، ولا أظن أن مقتل الشيخ "غريب" تم إلا عن ضرورة حتمية، وهي الدفاع عن النفس، كما قال القائد.
- بعد برهة من التفكير يقول "كريم":
- أريد فريق من الفحص الجنائي يقومون بمعاينة المنزل. أريد تقريراً اليوم وخلال بضعة ساعات.
- حاضر يا سيدي.
- تمر الساعة وتليها ساعات ولم يصدر التقرير بعد و"كريم" قلق. تنفس الصعداء حين قدم له ذلك الشرطي التقرير الخاص بما حصل عليه فريق الفحص الجنائي من منزل رئيس الشرطة. بدا القلق جلياً على وجه "كريم" وهو يقرأ التقرير الذي أفاد بوجود آثار دماء، وغالباً دماء

"مؤمن"، كونها من نفس فصيلة دمه. ولم يعثر على أي أثر لجثته أو جسامه إن كان قتل.
 - هذا شيء غير متوقع أن يتم التهمج على بيت رئيس الشرطة. من يفعل مثل هذا الفعل؟
 - لماذا يا سيدي لم توضع حراسة على منزله؟
 - هذه كانت رغبته؟ كان يريد أن يعيش كالإنسان العادي بين جيرانه.
 - أريدك أن تبحث عنه وتجده، مهما كان الثمن. هيا اذهب. وسأقوم بإبلاغ عمدة المدينة لنضع خطة للمعالجة الأمر.
 - وماذا عن الصحف يا سيدي؟
 - سنتعاون سويا حتى لو عرضنا مكافأة مالية لمن يدلي بأقوال تقود إلى العثور عليه.
 - تمام يا سيدي.
 وبالفعل أعلنت الشرطة عن مكافأة مادية كبيرة لمن يساعد بأقواله لكي يتم إرجاع أمر الشرطة.
 وجرى تمشيط للحي الذي يقطن فيه واستجواب جميع الجيران. ومراقبة كل من تسبب أمر
 الشرطة في إدخالهم السجن. وبالرغم من كل تلك الإجراءات، لم تتمكن الشرطة من إيجاد
 خيط يقود إلى الجناة.

وبغضبه العارم يضرب "كريم" على المكتب بقبضته بقوة.
 ويقول صارخاً:

- هذه إهانة عظيمة لنا كقسم للشرطة، أن يختفي رئيسنا بهذا الشكل.
 يدخل على "كريم" شخص يرتدي بزة عسكرية وذو رتبة كبيرة، فينتفض الأول ويقف مؤدياً
 التحية العسكرية ليصبح بحماسة:
 - الرائد "كريم" في خدمتك يا سيدي.
 ويفسح المجال للقادم الجديد لكي يجلس خلف المكتب على كرسي رئيس الشرطة.
 يقول الرجل:

- استرح يا "كريم".
 - شرف عظيم لنا وجودك معنا يا سيدي.
 - تفضل اشرح لي ما توصلتم له في قضية اختفاء "مؤمن".
 - كل ما نعرفه أنه كان في منزله ليلة اختفائه وكان يوجد معه اثنان وخادمه ولكنهم جميعهم
 اختفوا بلا أثر.

- من الآن وصاعداً سأتولى زمام الأمور وسأوقف البحث.
 - ولكن يا سيدي...

- هذا أمر يا "كريم". هنالك أمور تستحق أن نوليها اهتمامنا. وأخيراً المعطيات التي أُممي توحى
 لي بأن "مؤمن" هرب وقام بتدبير كل هذا الأمر ليخفي آثار هروبه. ولقد قام المدعي العام
 بعمل قضية ضده تهمه فيها بالقتل العمد لذلك الذي يدعى "غريب".

- ولكن...

يقول بغضب شديد مقاطعاً "كريم":

- قضي الأمر، ولا تجعلني أشكك في ولائك الحقيقي.

يصمت كريم على مضض فيردف القائد الجديد:

- لك أن تتصرف الآن.

- أيها الناس، لقد قتل حفيدي! هذا الكذاب المدعي. هذا المنافق المخادع.

يشاهد "مبروك" و"مرسي" ما يحدث عبر نافذة البيت. "أم رضوى" أخذت تنادي في الناس لكي يجتمعوا حولها وتخبرهم بما حدث لابنتها وحفيدها.

- يا ويلي، يا ويلي، لقد فضحتني هذه المرأة.

- نصيحتي لك يا شيخ "مبروك" أن تختفي من هنا. هذه المرأة لن تسكت وربما تذهب إلى الشرطة.

- وأموالي، وثروتي، وكل ما اكتنزته، أأتركهم بهذه السهولة؟

- ماذا يمكنك فعله؟

- سأوريك.

ويخرج من المنزل وقد ألبس نفسه ثوب الوقار وقال في الناس المجتمعة:

- أيها الناس هذه المرأة قد أصابت بقولها أني كذاب مخادع.

تتعالى أصوات الناس التي تفاجأت باعتراف "مبروك". فتقول "أم رضوى":

- ألم أقل لكم.

فيردف "مبروك" قوله:

- لقد كانت الحقيقة ماثلة أمامي ولكني أخفيت عنها. إني كنت على علم بحمل "رضوى" ولكني أردت أن تجهض الطفل.

تصرخ "أم رضوى":

- أردت قتله يا قاتل.

ينظر إليها "مبروك" بشفقة ويقول بهدوء:

- أنا متفهم لمدى غضبك يا "أم رضوى".

ويلتفت إلى الجمع ويقول بصوت عال:

- ولكن هذا الطفل، هو ابن شيطان.

صمت مطبق طغى على المشهد واستمر لثواني لتعلو صيحات الشجب وصيحات التأييد. والأم

في ذهول تام. ترك "مبروك" الناس تصيح حتى قال أحدهم:

- يا شيخ "مبروك"، ما الذي تقوله؟ كيف يكون هذا الوليد ابناً لشیطان ونمّا في رحم امرأة؟

- هذا الولد جاء سفاحاً بين الفتاة والجن الذي تلبّسها، ولكم أن تتأكّدوا من الفتاة نفسها.

ليقول آخر:

- هذا لا يصدق.

وثان:

- هذا والله شيء عجيب! ولكنه ممكن! بارك الله فيك يا شيخ "مبروك".
وتوافد الناس يسلمون على "مبروك" ومنهم من يقبل يده، وجلست الأم المسكينة على الأرض وقد غلبتها الدموع حزنا على ابتها، لتقوم بعدها وتقبل رأس "مبروك" وتعتذر منه.
ينفض الناس إلى أشغالهم ويعود "مبروك" "لمرسي" والذي قام يقبل رأس الأول قائلاً:
- بارك الله فيك يا شيخنا وكثر الله من أمثالك.

- شكراً يا "مرسي"، هذا علم نوراني، يهبه الله لأوليائه الصالحين.

- وماذا يا شيخنا عن مالك المفقود؟ ألا يمكنك أن تجده بعلمك النوراني؟

- ذكرتني يا "مرسي" بما يمزق فؤادي ويدي جسدي. هذا المال هو مال الله، والذي أخذه
شيطان مارد، ليمنع أن يصل هذا المال لمستحقه.

- إذا، كيف سيساعدك الشرطي "خالد" إذا كان السارق شيطان؟
- له في خلقه شؤون.

وجلسا ينتظران "خالد" الذي استغرق بعض الوقت حتى وصل إلى بيت "مبروك". قابله
"مرسي" بالترحاب وضمه إلى صدره، وتبادلا السؤال عن أخبار كلا منهما والأحوال ومآل
الأمر. وأخيراً انتبه "خالد" إلى "مبروك" وابتسامته القميئة مرتسمة على وجهه. تصالحا
والأخير بدا ذليلاً في حضور الأول الذي قال:

- شيخ "مبروك"، شرفت بالتعرف إليك.

- الشرف العظيم لي سيدي الشرطي.

- ما الذي حدث يا شيخ "مبروك"؟

- لقد كنت بالأمس أجلس حيث أنت أصلي وفجأة سمعت صوت يأتي من الغرفة المجاورة،
أنهيت صلاتي وذهبت لأتفقد هذا الصوت، لأجد بعدها الغرفة التي تحوي على أموالي قد
أغلقت من الداخل، حاولت أن أدخل من النافذة ليغلق باب البيت دوني، جلست أمام
البيت منتظراً أن يخرج من في الداخل ولكن النعاس غلبني فمت، لأستيقظ وأجد المال مفقود
وهرب السارق به.

- هل لي أن أتفقد المكان؟

- بالطبع، تفضل يا سيدي.

ويقوم "خالد" بالسير في أنحاء البيت وهو يبحث عن دليل أو شيء ما يكشف غموض هذه
الجرمة. يقف طويلاً على قطعة القماش التي تركها "أشرف" من قبل متأملاً. لم يدرك من الوهلة
الأولى أنها تخصه وخاصة أنها موضوع عليها علامات وأحرف غريبة طمست بعضها من ملاحظتها.
ولكنه أدرك أن هذا سحر بلا ريب. تمنع أكثر في قطعة القماش وهو يظن أن هذا اللون

الفيروزي المميز يشبه كثيراً لون قميصه. لقد عاد لبيتته بعد ذهابه إلى الجريدة مع "كريم" ليكتشف أن القميص قد قُذِّ وأُن هناك قطعة ممزقة منه مفقودة. فيقول بشيء من الشك "لمبروك":

- ما هذا يا شيخ؟

لاحظ ارتباك "لمبروك" حين رؤيته لقطعة القماش والذي قال:

- هذا... هذا... نعم، هذا عمل سحري أأتاني به أحدهم عثر عليه لأبطل السحر الموضوع به.

- هذا جزء من قميصي لو تعلم. هيا قل الحقيقة؛ من الذي أحضره لك؟ أخبرني وإلا سأوقفك بتهمة الشعوذة والاحتيال.

فيقول "لمبروك" وقد أسقط في يده:

- إنه... إنه... "أشرف" الصحفي. أرادني أن أقوم بعمل سحر لصاحب هذا القميص.

- "أشرف"!

- أجل يا سيدي.

فيذهب "خالد" مغاضباً وقد أخذ القماش معه دون أن ينبس ببنت شفة. فيصرخ "لمبروك":

- ولكن يا سيدي، مالي!

يركب "خالد" سيارته وينطلق بها.

يقف "لمبروك" أمام منزله وهو لا يعلم ماذا يفعل. فيقول "لمرسي":

- لقد خذلنا صديقك ذاك.

- هل كنت تتوقع أنه سيسكت حين يعلم بأن هنالك من يريد أن يسحره؟ و خاصة أنك طرف في هذه الواقعة.

- وماذا عن مالي؟ كيف سأسترده؟

ينظر إليه "مرسي" بنظرة احتقار قائلاً:

- افعل ذلك بنفسك أيها المشعوذ الكاذب. سأخبر الكل عن أعمالك الحقيرة وأنتك تسير بيننا بالسحر والشعوذة. ارحل من هنا قبل أن يصب عليك الناس جام غضبهم.

ويرحل تاركاً "لمبروك" في حيرة، ولكنه لم يدع له مجالاً لكي يناور أو يجد حلاً آخر. فجمع بعضاً من أغراضه وغادر.

ينظر في ساعته؛ لقد مرت الساعة وبضع الساعة وهو ينتظر. لقد تأخر "حاتم" عن الموعد المحدد. فكر أن يتحدث إليه عبر الهاتف ولكنه عزم على أن يرحل. وما هي إلا دقائق ويجلس

"حاتم" على الكرسي المقابل "لمحمود" في المقهى. فيقول بهدوء:

- لا بد أنك السيد "حاتم". ولكن كيف علمت إنه أنا؟

- هذا ما أردت أن أتحدث إليك بشأنه.

- هل تعلم أن لي صديق عزيز يشبهك تماماً يدعى "محمود"؟

- لا جدال في هذا فيوجد أربعون شبيها للشخص الواحد كما يقال في الأمثال الشعبية.
- وماذا عن أبويك؟ هل تعلم من هما؟
- بالطبع! هل ستستمر في إلقاء مثل هذه الأسئلة علي؟ لقد أخبرتني أنك تريدني في موضوع غاية في الأهمية، فما هو هذا الموضوع؟
- يقترب النادل منها ليقول "حاتم":
- مرحبا بك يا سيدي، ما الذي ترغب فيه؟
- شكراً لك، سنغادر الآن.
- ليقول "محمود" وهو متفاجئ:
- هل سنفعل؟
- أجل.
- إذاً إلى أين نتجه؟
- سأخبرك لاحقاً. هيا بنا.
- يسير "حاتم" ويتبعه "محمود" وهو لا يدري إلى أين يذهب، وإذا برجلين ضخمي الجثة يسكن بالآخر ويضعانه في سيارة تنطلق به. يقف "حاتم" ليراقب الموقف ويقترب منه رجل وامرأة يظهر الحزن بوضوح على وجهيهما. فيقول "حاتم":
- لا تقلقا، سنتولى المشفى علاجه لتخرجه مما هو فيه. وكما سمعنا عبر الهاتف، الذي تركته يسجل ما نقوله، لقد تكونت لديه شخصية ثانية مستقلة تماماً. إنه يحتاج إلى علاج نفسي وعاجل.
- تقول المرأة:
- شفاك الله يا ولدي الحبيب.
- ويصافح الرجل "حاتم" قائلاً:
- نحن شاكران لك يا "حاتم" على موقفك النبيل وإبلاغنا بحالة "محمود" الطارئة.
- هذا واجبي يا عم، "فمحمود" أخي.
- أكرر شكري وعرفاني.
- ويغادر الاثنان، و"حاتم" يقف وحيداً يراقبها وهما يبتعدان.
- لم يستسلم "محمود" لأسريه، وحاول جاهداً أن يخرج من السيارة ولكن جموده ذهبت أدراج الرياح، فقد حقنه أحدهما بمادة أفقدته الوعي تماماً.
- يجد نفسه جالساً على مقعد وأمامه امرأة ترتدي معطفاً أبيض، ويقف بجواره نفس الرجلين الذين أحضراه إلى هذا المكان. تسأله بهدوء:
- هل تعلم أين أنت؟
- بجيبها "محمود" بحدة:

- مستشفى ما. وأنا لست مريضاً؛ أريد الخروج من هنا فوراً.
 تبسم المرأة وتقول:
 - ستخرج لا تقلق. وحتى نخرجك من هنا يجب أن تتعاون معنا. أجب على أسئلتى وسننظر في أمر خروجك من هنا.
 - حسناً؛ هيا أسألي.
 - هل تعلم من أنت؟
 - أنا "أكرم صدقي".
 - هل معك إثباتاً للشخصية؟
 - لا لقد أضعته.
 فترى صورة له مع أبويه وتقول:
 - هل تعلم من في الصورة؟
 - لا! وهل علي أن أعرف؟
 - إنها صورتك مع ذويك. وهذه نسخة مصورة من هويتك باسم "محمود عبد الفتاح". هل تميزها؟
 - هذه ليست لي! لماذا يصير الكل على دعوتي باسم هذا الرجل؟ لا أعلم شيئاً عنه. هنالك ثمة خطأ ما؟
 - حسناً، سأدعك تستريح اليوم وسألقاك غداً.
 يُودع "محمود" في حجرة مغلقة بإحكام. وتمر الأيام التالية وهو مصر على كونه "أكرم". يقترح الأطباء تعريضه لصدمات كهربائية لعله يستفيق من مرضه. وقبل أن ينال الجلسة الأولى يطلب المتحدث إلى "أشرف" والذي وجد رقبته مدوناً على ورقة صغيرة في جيبه وهو يصير أن هذا الرجل سيؤكد على أنه "أكرم" وليس "محمود".
 لم يطل انتظاره؛ لقد أتى "أشرف" وها هو ذاهب لمقابلته. ما لم يعلمه "محمود" أن الأول قد تحدث إلى الأطباء وأخبرهم عن لقائه به وأنه كان يحدث نفسه حول مس الجن. ولقد حاول "أشرف" أن يقنع الأطباء بأن ما يمر به "محمود" من أعراض إن هي إلا استحواد فعلي. ولكن الأطباء لم يقبلوا بمثل هذا التفسير وأنهم يتعاملون مع حالة انفصام في الشخصية. جال الخوف في نفس "محمود" حينما دخل إلى الغرفة ورافقه ممرضان. هذه ليست غرفة لقاءات، إنها غرفة الجلسات الكهربائية، وقبل أن تراوده نفسه بأن يقاوم، غُرز في عنقه محقن بمخدر، ليتلقه أحد الممرضين، قبل أن يسقط على الأرض.

يستفيق "محمود" ليجد أباه وأمه جالسين بجواره. وكلهم شوق لمعرفة حالته الآن.

- أي... أي... ما الذي... أين أنا؟

وينظر حوله ويقول:

- ما الذي جاء بي إلى هنا؟
كانت سعادتها غامرة حينما أدركا أنه عاد لطبيعته. ودموع الفرح انهمرت من عيني أمه التي ضمتها وقبلت رأسه وهي تقول:
- حمداً لله على سلامتك يا بني.
ووقف أبوه بجانبه وهو يربت على كتفه وسعادته لا توصف.
- أي، ماذا حصل لي؟
- لا يهم ما قد حصل، المهم أنك بخير الآن.
لاحظ وجود سيدة تقف في ركن الغرفة وتبكي.
- "لمياء"!
- نعم يا نور عيني وحب فؤادي. حمداً لله على سلامتك.
- ماذا أصابني؟
ليقول أبوه:
- لا أحد يعلم بالتحديد، حتى الأطباء عجزوا عن تحديد حالتك، لقد حاولوا أن يعالجوك بالكهرباء ولكن ما رأوه هم أنفسهم عجزوا عن وصفه. لقد استيقظت وأنت تحت تأثير المخدر، وقمت بمحاولة النيل منهم وسببتهم، ولم يؤثر فيك أي شيء بعدها، وبالرغم عنك قاموا بتعريضك لتيار كهربائي قوي جعلك تنهار بالتدرج. وخرجت دماء غزيرة من أنفك وأذنيك وبعدها استسلمت لتأثير المخدر. وها أنت تستيقظ الآن وأنت معنا وأراك في خير حال.
- أي وأبي هذه "لمياء" زوجتي.
يقول الأب:
- لقد هرعت إلى هنا عندما أخبرناها بمصائبك. وأخبرتنا كل شيء عن زواجك بها وظروف هذه الزيجة.
تنظر لها الأم وتقول بامتنان:
- لقد كانت بجوارك طوال الوقت وترفض أن تتركك. إنها نعم الزوجة.
قالت "لمياء" وهي منخرطة في البكاء:
- كيف أكون بدونك يا من جعلتني أسير على الطريق المستقيم، وأنبذ كل فعل يغضب الله عز وجل، أملأ في أن ترجع إلي وألا أفقدك أبداً.
على الرغم من أن "محمود" لم يكن في وعيه حين أتم هذه الزيجة ولكن أسرته باركتها ولم تنكرها، خاصة مع موقف "لمياء" والتي جعلتها يدركان أن فارق السن لن يكون العائق بينها وخاصة أن "لمياء" أعلنت توبتها ورغبتها في أن تكون زوجة وفيه "محمود".

- سأرفع عنك كما متك لكي تأكل فقط. إذا علا صوتك بشيء من القرآن سأكمه فاهك مرة

أخرى ولن تتناول الطعام.
يومي "محمد" برأسه موافقاً، فيزج المثلث عنه كما مته، ويفك وثاقه، ليتناول طعامه بشرهة كونه لم يطعم منذ الصباح.

- زدي.

يقولها "مؤمن" للمثلث، وقد فرغ صحنه، فيزجره بقوله:

- أيها الشره! هذا هو حظك من الطعام ولا زيادة.

ويقرب ليأخذ الصحن الفارغ، فينقض عليه "مؤمن" برشاقة ويهوي على وجهه بضربة قوية تسقطه أرضاً. يهز رأسه ليستفيق من أثر الضربة ولكن "مؤمن" يتبعه بأخرى فيسقط على إثرها فاقداً للوعي.

- هيا بنا، لنخرج من هنا.

يقولها "مؤمن"، ليقوم الجميع من خلفه سائرين. يرون من الباب المفتوح حيث ضوء خافت يأتي من مصباح قديم معلق، ليدخلوا غرفة أخرى مظلمة، وبمجرد أن تطل أقدامهم الغرفة جميعهم، يغلق الباب من خلفهم ويسود الظلام.

- ماذا الآن؟

يقولها الخادم، فيجيبه "مؤمن":

- تحلى بالصبر، سنجد لأنفسنا مخرجاً.

يتحسس طريقه باتجاه الباب المؤدي إلى الخارج حتى يضع يده على المقبض، فيلفه ليفتح الباب، فيفتح. فيقول هامساً:

- من هنا، هيا، لقد وجدت المخرج.

- لا أرى شيئاً، أين أنت يا شيخنا.

كان هذا صوت الخادم، فيأتيه صوت "محمد" من جواره قائلاً:

- ها أنا ذاك. خذ يدي.

فيتحسس الهواء ليمسك بيد ممدودة إليه.

ويتقدمون باتجاه الباب متتبعين صوت "مؤمن".

- مالي أجد يدك مبلمة هكذا يا شيخ. تحلى ببعض الشجاعة.

فيأتيه صوت "محمد":

- أي يد؟ أنا لم أعطك يدي.

- إذا يد من هذه؟

يتحسس اليد ليجدها مشعرة بغزارة وكأنها يد حيوان بري. فيصرخ فرعاً:

- هذه ليست لبشر.

وتتعالى أصوات عراك وسقوط أحدهم على الأرض وصوت صراخ الخادم يصم الأذان.
تعلو أصوات أقدام تقترب من الغرفة وأضواء تراقص على الحائط. يهرع "مؤمن" للخروج من

الغرفة ويركض ليصطدم بوافد جديد يوشك أن يدخل المكان ليصرخ الأخير ويستمر في العويل:

- والله لم أقصد، "عثمان" هو الذي دفعني للقدوم. ما كان لي أن أخلفك يا سيدي.
- بكل صرامة يسأل مؤمن:
- من أنت؟ ومن أين أتيت؟
- أنا عبدك وخادمك الأمين "فريد".
- أنا أميز صوتك، أنت "فريد" اللص.
- هه، أعلن توبتي وأوبتي يا سيدي.
- خست أيتها الخسيس، لا تنفع توبتك الآن. هيا تقدم أمامي وقدي إلى الخروج من البيت.
- ألسنت سيدي العفريت؟
- يضره "مؤمن" على رأسه قائلاً:
- أخزأك الله يا أحمق. أنا رئيس الشرطة.
- يتنفس الصعداء ثم يقول:
- سأفر بكل شيء يا سيدي. المسروقات داخل المنزل. و"عثمان" شريكى مختبئ هنا.
- قل هذا الكلام في الخفر. هيا تقدمني.
- ويخرج "محمد" و"عماد" والخادم من البيت وقد بدا عليهم آثار العراك. يقول الخادم:
- اعتذر منك يا شيخ لم أعلم أنه أنت، لقد فرغت مما أمسكت. ظننت أنك عفريت تريد قتلي.
- لا تثرِب عليك يا بني. فلنغادر بسرعة قبل أن يلحق بنا أسرونا.
- ويتفرقوا

- وفي منزل عصابة الظلال حيث يجتمع "مهند" و"فدوى" و"سليم". يقول الأخير في ارتياح:
- لقد هرب الشرطي ورفاقه!
- فتقول "فدوى":
- كيف حدث هذا؟ نحن الآن على مشارف الليلة الكبرى حيث يتعامد القمر وحينها نستطيع أن نتواصل مع ملك الجان نفسه. سنستحوذ على العالم وستبلغ أساؤنا الآفاق في عالم السحر.
- وهذا الشرطي يهدد كل هذا بالفشل الذريع. ما موقفنا الآن مع أمر الشرطة الجديد؟
- ليجيب "مهند":
- هو طوع أمرنا في كل ما نرغب. لقد جعل ذاك الشرطي الهارب من المطلوبين لمساءلتهم قانونياً حول جرمته.
- فتقول "فدوى":
- ما يشغلني هو أن تغض الشرطة الطرف عن البيت. وهذا البيت هو الذي تم اختياره لعمل

الطقوس اللازمة في حضرة أمراء وأميرات الجن.
يقول "سليم":

- لا تقلقي، كل شيء معد بإحكام. ودعي أمر هذا الشرطي لي، سأتولى أنا التخلص منه.
تبتسم "فدوى" وتقول:
- أعتد عليك.

يدخل عليهم "رافع" وهو مبتل تماما ومصاب ببعض الرضوض. تنظر "فدوى" في عينيه لتقول في احترام وتبجيل:

- سيدي "كنعان"، مرحبا بك. لقد أعدنا كل شيء لاستقبالك وكل ضيوفك الكرام.
بصوت أحش غاية في الغرابة يقول "رافع" أو "كنعان":
- لقد تعرضت لبعض الصعوبات. فرجلكم كان يأبى أن يتنازل عن جسده ولولا أنني مسسته وأحلت حياته حجما ما كان ليتنازل عن جسده هذا لي. وكان هناك اثنان يجلسان سويا وقد شاهدا ما حدث. ولكني تخلصت منها.

تنظر "فدوى" إلى "مهند" نظرة لوم والذي قال:
- إنه خطأي! لقد ظننت أنه لن يتعبك يا سيدي. لقد كنت معه لأخذك من أمام المقابر.
جعلته يظن أنني أزور قبر زوجتي وفي الواقع ما أتيت إلا من أجلك يا سيدي. لقد كاد أن يجن فظننت أنه مناسب لكي تستحوذ على جسده.
فيقول "كنعان" بلا مبالاة:

- لا بأس... لا بأس.

يبادر "سليم" بقوله:

- تفضل معي يا سيدي لنلبسك ثيابا جديدة بدلا من تلك المبتلة.
وما هي إلا دقائق ليدخل كلا من "نورا" و"أروى" حيث ظهرت على الأولى أمارات القلق.
فتستقبلها "فدوى" بترحاب بالغ، وتقول:
- لقد أحسنتا.

تبتسم "أروى" "لمهند"، ثم تقول:

- المراسم أعدت على الوجه الأكمل.

تلاحظ "فدوى" القلق البادي على وجه "نورا" فتقول لها:

- "حاتم"، أليس كذلك؟

فتقول "نورا" بأسف:

- لقد تركني وأنى أن ينصاع. لقد وجدت فيه فارس أحلامي والذي سيعيد لنا السيطرة. لقد خذلني.

- لا تبتئسي هكذا، سنجد من يتفهمك ويدل ناصيته لك يا حبيبتي.

تقول "نورا" بأسى:

- حتى أي رفض أن أرتبط بأحد من بني البشر. يراهم في منزلة أدنى. لقد قضى بعض الوقت مع "حاتم" في القبو وقد تمثل في هيئة رجل وحاول أن يقنعه أن يسجد، فقط يسجد، ولكنه رفض بشدة. لقد منعه إيمانه بالله أن يمثل. أتم يا معشر البشر ناكرون للجميل.
- لم يبدو على "فدوى" الاستنكار لما قالته "نورا" للتو بل بالعكس كانت ابتسامتها تتلألأ على وجهها وتقول:
- ليس كلنا هكذا، فهذا هو "مهند" لا يألو مجهداً في أن يمثل لكل ما نطلب. لقد ضحى بزوجته على المذبح لكي يحصل على رضاكم.
- المهم أنك لم تبوح بشيء حول ما نريد فعله له.
- بدا الارتباك على "نورا" فلم تنطق. اتسعت عينا "فدوى" وقد أدركت أنه عرف فقالت بجدّة:
- ما الذي خبرته أيتها الغبية؟
- جعلته يطلع على الكتاب.
- صاحت "فدوى":
- كتاب الظلال!
- تومئ "نورا" برأسها، وتتسع عينا "فدوى" أكثر. فتسكت وهي تحاول أن تهدئ من روعها وتفكر. لتقول بعد إمعان في التفكير:
- الأمر جد خطير. يجب التخلص منه قبل أن يفسد كل شيء.
- وتنظر إلى "نورا" وتردف قائلة:
- وأنت من ستفعل ذلك.
- تقترب "أروى" وقد روعها صياح "فدوى". فقالت بصوت منخفض:
- ما المشكلة؟
- بنظرة من عينيها تشير "فدوى" "لنورا" بالمغادرة، وبالفعل تطيعها على الفور، وتلتفت "فدوى" إلى "أروى" وتقول:
- مشكلة صغيرة وستقوم "نورا" بحلها.
- بدا على وجه "أروى" عدم التصديق فتقول بلهجة مشككة:
- وهل يستدعي ذلك هذا الصراخ.
- تنظر "فدوى" إليها وتبتسم ابتسامة تشي بالارتباك ثم تقول:
- لا تؤزقي نفسك يا عزيزتي. كل شيء على ما يرام.
- وتبتعد "فدوى" قبل أن تسألها "أروى" مزيداً من الأسئلة.

- تستقبل "إصلاح" "محمد" و"عماد" بشوق ولهفة باديان عليها أمام بيتها فتضمها بقوة الواحد تلو الآخر وتقول:
- أبو "عماد" لقد أفلقتي غيابكم. مر يومان ولا أعلم عن مكانكم شيئاً. وما هذه الكدمات التي

عليك ؟

يقول "عماد" بتلقائية:

- لقد اختطفنا يا أمي.

شحب وجهها وبدا عليها الذعر فقالت بجزع:

- اختطفنا يا ويلي.

فتنظر إلى "محمد" وتستطرد:

- هل هذا صحيح ؟

يربت عليها "محمد" محاولاً تهدئتها ويقول:

- لا داعي للقلق يا أم "عماد"، نحن والحمد لله بخير.

والقلق يغزو كل ملامحها تقول:

- الحمد لله، الحمد لله. هيا إلى الداخل وأخبراني بالذي حدث.

يدخلوا المنزل جميعهم ويجلس "محمد" و"عماد"، أما "إصلاح" فتستمر على وقوفها وتقول:

- كيف اختطفنا؟ ولماذا؟ ومن قام بهذا العمل المروع؟ وهل ذهبنا إلى الشرطة؟

يبتسم "محمد" ويقول:

- لقد كان معنا آمر الشرطة بنفسه. لقد اختطف هو أيضاً.

اتسعت عينا "إصلاح" رعباً فقالت:

- يا إلهي! رئيس الشرطة اختطف أيضاً. و..

يقاطعها "محمد" بقوله:

- نحن جائعان فلم نأكل كفايتنا من الطعام، أليس كذلك يا "عماد"؟

- أجل يا أمي.

فتهرع "إصلاح" لتعد الطعام وهي تغغم بقولها:

- رئيس الشرطة وزوجي وابني، والله لا أصدق.

عادت بعد دقائق بالطعام وجلست بجوارهما تنظر إليهما بلهفة وتقول:

- الحمد لك يا الله، لقد أعدتها إلي سالمين .

أخذت تراقبهما وهي صامئة حتى انتهيا، فقامت برفع الصحون وعادت مسرعة لتجلس لتعلم ما

حدث بلهف. فيقوم "محمد" بإخبارها بما واجهه وأن المقصود كان صاحب الشرطة وأنهم خرجوا

جميعهم من البيت المهجور. ولكنه لم يخبرها ببعض التفاصيل الغريبة واحتفظ بها لنفسه حتى لا

يفزعها. قالت بغموض:

- البيت المهجور تقول!

تعتدل في جلستها وتقول بلهفة:

- هل وجدتم جناً هناك كما يشاع؟

فيجيب "محمد" مبتسماً:

- هل تريد أن رؤيتهم؟
- تتراجع مباشرة وتقول:
- أعوذ بالله منهم ومن شرورهم.
- ينهض من مجلسه ويتوجه إلى الباب. فتسأله متعجبة:
- إلى أين تذهب؟
- إلى المسجد.
- ألا ترتاح قليلاً؟
- أنا بخير والحمد لله، سألحق ب صلاة المغرب وأصلي ما فاتني من صلوات.
- ينهض "عماد" يريد مرافقة أبيه فيشبر إليه "محمد" قائلاً:
- خذ قسطاً من الراحة يا "عماد" وصلي ما فاتك بعد أن تستريح.
- أمرك يا أبي.
- تركض "سعاد" إلى "محمد" الذي بش لرؤيتها و حملها وهو يقول:
- مرحباً بأمرتي الصغيرة اشتقت إليك يا صغيرتي
- وقبلها وهي تقول بصوتها الرقيق:
- أنا غاضبة منك. كيف تغادر أنت و"عماد" دون أن أراك، لقد كنت أريد الذهاب معكم.
- تقول "إصلاح":
- الحمد لله أنك لم تكوني معهم.
- بيتسم "محمد" ويقوم بإنزالها وهو يقول:
- هيا عودي إلى أمك.
- يتخذ طريقه إلى المسجد وحين يقترب منه يستقبله المصلون بترحاب ويصافحونه وقد التمسوا غيابه في اليومين الفائتين. يخرج من المسجد "علي" ركضاً ويصافح "محمد" بجرارة قائلاً:
- سيدي، لقد افتقدناك وجعلتنا نظن أنك لن تعود لإمامة المسجد. هل أخبرتك زوجتك أنني
- قمت بالسؤال عنك؟
- كيف حالك يا "علي"؟ أنا جئت من فوري إلى المسجد، لقد اشتقت إليكم وإليه.
- أين كنت يا إمام؟ يبدو عليك الإرهاق.
- هذه قصة طويلة سأقصها عليك، أريد أن أصلي ما فاتني من صلوات قبل صلاة المغرب.
- تفضل... تفضل يا سيدي
- ويصلي "محمد" وينتهي المصلون من صلاة المغرب وقد أممهم. وبعد الصلاة يقوم أحد المصلين بطرح سؤال على الملاء قائلاً:
- يا إمام علمنا أنك لم ترد أن تصلي على الشيخ "غريب"، وهذا تصرف تعجبنا منه جميعاً.
- هل تهم الشيخ "غريب" بشيء؟
- ينظر "محمد" إلى "علي" الذي شاح بصره بعيداً، لقد أخبرهم إذاً، هكذا فكر "محمد"، لينظر

إلى السائل فيقول:

- أخي الكريم منذ البداية وأنا عندي تحفظات على تصرفات الراحل، أنا رجل دين وأستطيع أن أميز بين يكذب ويدعي كذا أنه رجل دين باستخدام الشعوذة والهرطقة، وللأسف العامة يصدقونه و يلهثون خلفه أملاً في تغيير واقعهم. وهذا من قلة الإيمان بقدرة القادر، فمن بيده ملكوت كل شيء إلا الله؟ ولكننا بعدنا عن شرعه ومنهجه الذي وضعه بين أيدينا ممثلاً في كتاب الله وسنة رسوله. وأنا ما زلت عند رأيي، "غريب" هذا ليس عالماً أو شيخاً بل هو مدع كاذب.

- ولكن يا سيدي ها هي الشرطة قتلته بغير ذنب أو جريمة إلا أنه رجل يريد خدمة الناس ويسعى لمساعدة المحتاج. أرجوك يا سيدي لا تظلم الشيخ فقد كان رجلاً معطاءً. ونحن سنطالب بدمه المسفوح ظلماً و نأخذ قصاصه من أمر الشرطة.

- هل تعلم يا بني أنه هو المعتدي وليس المعتدى عليه؟ هو من أشهر مسدساً يحمله في وجه السيد "مؤمن" وكان على وشك أن يريده لولا أن السيد "مؤمن" كان الأسبق.

تعلو همهمات المصلين الذين تفاجأوا بهذا الخبر بين مصدق ومكذب. فيقول السائل بحدة:

- اسمح لي يا إمام أن أقول لك أن معلوماتك خاطئة، لقد قتل الشيخ كونه في عون الناس، والشرطة لا تريد أن يلتقي الرجل المكانة التي يستحقها.

بدا وكأن معظم المصلين موافقون بكلماتهم المؤيدة وبراءتهم الساخطة. فيستمر الرجل في صياحه وبث الحماسة في نفوس المصلين ويقول:

- لن نسكت على هذا الظلم، نريد القصاص.

فيهتف المصلون خلفه، يقف "محمد" مذهولاً مما يحدث، لقد تجاوز الأمر مجرد سؤال. يحاول أن يهدئ من ثورتهم جاهداً بقوله:

- اهدأوا! أنتم في مسجد ولا يصح ما تقومون به.

ولكن صوته ذهب أدراج الصيحات. انتفض الناس وانطلقوا خارجين من المسجد. قام "محمد" بإيقاف السائل قائلاً:

- أخبرني من أنت؟ لم أراك في هذه الناحية من قبل؟

ابتسم الرجل ابتسامة ساخرة قائلاً:

- ومن تظنني؟ أنا قرين "غريب"!

ويطلق ضحكات متواصلة وكأنه يستهزئ "بمحمد".

لم ينبس الأخير ببنت شفة. ووقف يفكر في قول الرجل، هل هو يمزح أم هو يستهزئ به؟

يتدارك نفسه وينطلق خلف المتجمهرين الذين ساروا صوب بيت "مؤمن" يصيحون

ويصرخون بكلمة القصاص.

يتفتق إلى ذهن "محمد" أن يقوم بتحذير "مؤمن"، وعلى الفور يبحث في هاتفه عن رقم هاتف

الأخير، إنه يذكر أنه قام بحفظه فيه. لقد وجده! صوت الجرس يصدر من الهاتف. فيغمغم قائلاً:

- هيا أجب.
 - يسمع صوت "مؤمن" فيقول:
 - الحمد لله، يا سيدي أنت في خطر محقق، جمع عظيم من الناس يتوجهون إلى بيتك يريدون القصاص منك.
 - بدا على الأخير عدم الاستيعاب لوهلة فيقول بحدة:
 - قصاص! وجاعة تريده! من أنت؟
 - معذرة يا سيدي أنا الشيخ "محمد" إمام المسجد الكبير. أحدثك وهم يسرون أمامي الآن.
 - سنصل خلال ساعة أو أقل.
 - اللعنة! سأستدعي قوات الشرطة لتوقعهم.
 - وينهي المكالمة.

تستمر المسيرة وتقترب من بيت "مؤمن" ولم تظهر قوات الشرطة. يحاول "محمد" مهاافته مرة أخرى ولكنه لا يجيب على اتصاله. يهتف الناس بسقوط الظلم والقصاص وقد وقفوا عند بوابة البيت الخارجية. يحاول بعضهم القفز فوق السور المحيط بالبيت وآخرون يريدون اقتحام البوابة. يقف "محمد" حائرا لا يدري ماذا يفعل. لاحظ شيئا غريبا، بعض هؤلاء الرجال لا يتركون ظلا منعكسا من أعمدة إضاءة الطريق. لم يصدق عينيه ولكن الأمر كان جليا. من هؤلاء؟ ولماذا يريدون النيل من "مؤمن"؟ بزغت الفكرة في عقله. لذا وبدون تردد بدأ يتلو القرآن بصوت مرتفع وهو يسير بين الجموع. وكما توقع، تحول الجمع الكبير إلى فئة قليلة باقية، أما الآخرون فقد توقفوا عن الصياح وانصرفوا في هدوء عجيب. كان مشهد غير متوقع للبقية فطفقوا ينصرفون. بالرغم من أنه قد قام بما قام به ولكنه ما زال متفاجئا مما حدث. تساؤلات كثيرة تدور بخله وغلب ظنه أن هناك شيء ما يدير، وأن ما حدث للتو لم يكن وليد صدفة. ويفتح بوابة بيت "مؤمن" ليخرج منها الخادم ويحمل في يده عصا خشبية.
 - هل رحلوا؟

هكذا بادر "محمد" بالسؤال، ليجيبه الأخير:
 - أجل.

يفتح البوابة ويقول:

- تفضل يا إمام، سيدي بالداخل.

يتقدم "محمد" ويتخطى البوابة ويقول متسائلا:

- السيد "مؤمن" موجود بالداخل. لماذا لم يفر هاربا؟ ولماذا لم يستدعي الشرطة؟

يغلق الخادم البوابة ويقول:

- الأمر معقد! فسيدي لم يعد رئيس الشرطة، بل صار متها بالقتل والفرار من المحاکمة.

- ماذا؟ ولكنه بريء. لقد كان يدافع عن نفسه.

- هذا ما لا يريد أن يسمعه آمر الشرطة الجديد. لذا حين طلب سيدي تدخل قوات الشرطة

لتوقف تلك المسيرة، كانت الإجابة بأنهم مشغولون وأنه ليس له السلطة ليأمر بإيقاف أي شيء.

- يا إلهي، الأمر جد خطير. أين هو الآن؟
- تفضل يا إمام. وجودك كغيبيل بأن يهون عليه مصابه.
- ويدخل محمد المنزل ويصحه الخادم إلى الغرفة التي يجلس بها "مؤمن". ويستأذن "محمد" للدخول فينهض "مؤمن" من مجلسه ويستقبل الأول بحفاوة قائلا:
- الشيخ "محمد" حلت أهلا ونزلت سهلا.
- سيدي آمر الشرطة.
- فيتسهم "مؤمن" ابتسامة مريرة ويقول:
- لم أعد رئيس الشرطة يا شيخ "محمد" بل ومتهم بالقتل أيضاً.
- هون عليك يا سيدي سيجعل الله بعد عسر يسراً.
- كيف يا إمام؟ الرجل الجديد بيني وبينه عداوة قديمة، وهو قد وضعني في زمرة المجرمين دون دليل أو قرينة.
- هذا والله شيء عجيب فكما أخبرتني كان "غريب" يشهر سلاحه ضدك وأوشك أن يصيبك، فسلاحه موجود كدليل.
- لا ليس موجودا، لقد أخفاه الرئيس الجديد من بين الأدلة حتى لا أجد ما ينفي عني هذه التهمة.
- يا إلهي! ألا يمكنك أن تخبر القاضي بذلك؟ هل تعني أنه لا يوجد دليل على أقوالك؟
- للأسف لا. أنا في عداد المدانين. سأفقد وظيفتي وربما أسجن.
- بدا "محمد" حائرا لا يدري ماذا يقول.
- تفضل يا إمام، لقد أحضرت لك كوبا من الشاي.
- قالها الخادم الذي كان يحمل كوبين ويضعهما على الطاولة أمام "محمد" و"مؤمن" و الأول كان واجبا يفكر. فتدارك الأمر وأخذ الكوب وشكر الخادم، ليستطرد قائلا:
- سيدي ما رأيته اليوم يجعلني أظن أن الأمر أكبر من مجرد وظيفة.
- وقص عليه ما رأى من الناس التي أرادت اقتحام بيته وأنه فض تجمعهم بالقرآن وهذا يجعله يشك في أن هناك أمر مريب بشدة.
- يقول "مؤمن":
- هل تفكر فيما أفكر فيه؟ الذي تقوله وكذا الذي رأيته في البيت المهجور يوحي لي بمكيدة ما، أبطالها هؤلاء الذي قاموا باختطافي. وتلك الاتهامات الكاذبة ضدي، واليوم هذه التظاهرة.
- وأذكر كيف كان اللص "فريد" مرتعدا حين أمسكت به وأنه ظن أنني سيده من الجن.
- تماما يا سيدي، هذا ما أفكر فيه. وحتى ما قاله "فريد" لم يكن عبث، وحتى "غريب" هذا لم يكن شخصا عاديا بل كان أكبر من ذلك. رميه بالغيب ومعرفة الأمور الخفية تقتضي وجود

- صلة بينه وبين الشياطين. وأقصد بالشياطين هي تلك الكائنات الخفية والتي تريد بنا نحن معشر البشر كل سوء.
- لولا أن شاركتك الحبس في البيت المهجور ما كنت لأصدق قولك، بل وكنت اتهمتك بالجنون. فماذا فعل؟
- هذا والله أمر محير. ولكنك يا سيدي يجب أن تعود إلى منصبك وتظهر براءتك.
- أتفق معك ولكن كيف؟
- يجب أن نعود إلى البيت المهجور. فكل شيء متصل به.
- فماذا سنفعل هناك؟
- يجب أن نقوم بالبحث عن هؤلاء المختطفين وجعلهم يعترفون بكل شيء.
- فكرة حسنة! وأنا معك.

يسرع الخطى إلى سيارته التي تقف أمام الشركة. بدا متوترا من طريقة مشيه وتلفته يمينه ويسرة وكأنه يخاف أن يأتيه شيء عن جانبه. يقترب من السيارة التي يصيح جهاز إنذارها دون أن يقربها شيء. يجزع "مسعود" لوهلة، ولكنه يتدارك الأمر فيوقف الصوت بمفتاح سيارته. ويكمل سيره صوبها، يفتح الباب وقبل أن يدخلها يقف دون حراك وكأنه تحول إلى تمثال. يصرخ:

- لا!!!! لا!!!! لا!!!!

ويركض مبتعدا عن السيارة وكأن الشياطين تطارده. تقترب منه سيارة بها رجل ضخم الجثة، بالرغم من كبر حجم السيارة ولكنها لا تسعه. ينظر "مسعود" إلى السيارة وقائدها فيركض أسرع ولكنه ما لبث وأن توقف عن الركض ليلتقط أنفاسه المتسارعة. تمر السيارة بجواره وسائقها ينظر إلى "مسعود" متعجبا، فالأخير سمين إلى حد مفرط. تنفخ الصعداء، لقد ظن أن الرجل الضخم يتبعه، وقتل عائدا إلى سيارته وهو يلوم نفسه، فما رآه في السيارة مجرد وهم. لقد رأى ظلا أسود على هيئة إنسان يجلس ويتنفس وقد بدت نواجذه. هذا الظل قد رآه بالأمس في حلم وهو يركض خلفه ويقوم بخنقه حتى الموت. يفتح الباب هذه المرة بثقة وإذا به يقفز هلعا إنها امرأة هذه المرة، امرأة حسناء تجلس على الكرسي الخلفي وتنظر عبر زجاج النافذة. إنها "أروى".

- مم... من أنت؟
- هيا اجلس يا "مسعود"! توقف عن هذه الأعمال الصبانية.
- كيف دخلت إلى هنا؟
- تلتفت إليه هذه المرة وتبتسم ابتسامة ساخرة وتقول بضجر:
- كما ترغب.

وقبل أن يقول شيئا اندفع بقوة داخل السيارة ليصطدم بباب الجهة الأخرى، ويدخل الرجل الضخم السيارة ويغلق الباب. فتقول "أروى" بسخرية:

- ها قد جلست.
- وكأنه أصيب بالحرس وهو ينظر إلى العملاق الذي بادله النظرات بأخرى مخيفة بحق.
- م... ماذا تريدن؟
- هذا هو السؤال الذي انتظره. يبدو أنك أسأت إلى أحد عملائي وما أنا إلا رسول. أنصحك أن تعدل عن رأيك بخصوص صفقة "مهند" والا.
- وكأنه استحضر بعض الشجاعة فقال بحدة:
- اللعنة عليه. أبدا لن أتنازل عما أردت مقابل صفقته تلك.
- تصدر صوتا قريبا من الطقطقة بفمها كناية عن اعتراضها عما قال، لتقول:
- هذا لن يفيدك. يبدو أنك لا تدرك ما أنت مقدم عليه بهورك.
- فيقول بنفس الحدة:
- هل تهددينني؟ أنت لا تعلمين عني أي شيء. أنا لا أخشاك.
- وينظر إلى الرجل الذي بجواره ويردف القول:
- ولا أخشاه أيضا.
- يبدو أنك تحتاج درسا يعلمك كيف تخاطب من هم أعلى منك قدرا.
- وب نظرة من عينيها إلى الضخم والذي يمسك بقميص "مسعود" ويهوي على وجهه بقبضته ليسقط فاقدًا للوعي. وبهوء يفنش عن مفتاح السيارة في جيب "مسعود"، فيخرجه ويشغل السيارة وينطلق بها.
- تصل السيارة إلى البيت الذي تتخذه "فدوى" وجاعتها مقرا لها، يحمل الرجل الضخم "مسعود" ويدخله إلى البيت، وتسير "أروى" خلفه الهويناء غير عابئة بأي شيء. يستقبلها "سليم" وقد بدت السعادة على وجهه ليقول:
- صيد موفق!
- أشكرك.
- تسير في الردهة حتى تدخل غرفة "فدوى" التي ترفع حاجبها مع رؤيتها، تقف "أروى" بين يدي "فدوى" وتقول الأولى:
- سيدتي، لقد جئتك بأصحبة جديدة لليلة الموعودة.
- أحسنت يا "أروى" ولكننا لسنا في حاجة إلى المزيد من القلاقل والاضطرابات. الشرطة تقترب منا بشكل يبعث بالقلق. خاصة وأن هذا الوافد الجديد من الرجال المهمين في المدينة.
- "مسعود" هذا اسمه أليس كذلك؟ ويبدو أن الأمر متعلق بصفقات "مهند". أنا لست ضد أن يتخذ ضده إجراء مناسب ولكن في نفس ذات الوقت يجب أن نراعي التوقيت. لذا عليك إعادته دون أن تفضي شيئا عن مكاننا.
- سبق السيف العذل، إنه هنا بالفعل ولعله أفاق الآن.

- لا أريد أن أسمع أعذار أو عقبات، أريدك أن تنفذي ما أقول.
- بدا الغضب الشديد على وجه "أروى" التي تحولت عيناها إلى اللون الأحمر وقبل أن تقول شيئاً سقطت أرضاً على ركبتيها، إنها تعاني من ألم مبرح. ترفع رأسها لتتنظر إلى "فدوى" التي كانت تمد يدها للأمام على شاكلة قبضة محكمة. قالت "أروى" بوهن:
- أرجوك كفى. سأعيده حيث شئت.
- فترخي "فدوى" قبضتها، التي بدت وكأنها قابضة على روح "أروى"، وتتنفس الأخيرة الصعداء، و تستجمع نفسها لتتهض وتهول خارجة من الغرفة. تقابلها "نورا" والتي رأت الغضب على وجه "أروى" خارج الغرفة. فتقول متسائلة:
- ماذا بك؟
- لا تجيبها "أروى" وتكمل سيرها إلى الخارج، فتتبعها "نورا" وتعيد عليها السؤال:
- ماذا بك يا "أروى"؟
- تتوقف "أروى" عن الهرولة وتنظر إلى "نورا" بعينين دامعتين ثم تندفع باتجاهها لتضمها وتبكي.
- تربت "نورا" عليها قائلة:
- هوني عليك يا صديقتي. ماذا فعلت هذه البشرية التي تدعى "فدوى" هذه المرة؟
- تجيبها "أروى" بصوت متهدج:
- لقد كادت تزهق روحي كوني أريد أن أقدم أحد منافسي "مهند" كقربان، بل رفضته وأمرتني أن أعيده. إنها شريعة للغاية، ولا أدري لماذا وضعها السيد "كنعان" لتكون الآمرة الناهية فوقنا. إنها مجرد بشرية.
- تقاطعها "نورا" وتشير إليها أن توقف عن التذمر بقولها:
- هي ليست مجرد بشرية كما تدعين. أنت تعلمين أنها قادرة على سماعنا الآن ولديها عيون وأذان في كل مكان، والسيد "كنعان" يرى فيها المستقبل لبني جنسنا. هل تنسين أنها من أنشأت هذه العصبة وأحيت الظلال.
- ولكن هذا لا يعطيها الحق أن تفعل بنا ما تفعله من تسلط وتكبر، وكأنها ملكة متوجة على هذا العالم.
- لو أردت أن تأخذي برأيي، نفذي ما تقول دون جدال. فهي تعلم تماماً كيف تدير الأمر.
- هل تعنين أن أعيد هذا اللص، بل ربما أقدم بالاعتذار إليه أيضاً. هذا سيزيده صلفاً ويجعله يتناول أكثر علينا.
- يا "أروى" نفذي ما أمرتك به.
- حسناً... حسناً. سأفعل.
- يأتي "سلم" راكضاً باتجاهها ويقف بالقرب فيقول:
- "نورا" أنت مطلوبة لدى ملكتنا.
- تنظر "نورا" إلى "أروى" نظرة مفادها ألم أقل لك، فيحتقن وجه الأخيرة وتظهر معالم الذعر

عليها، فتركض مبتعدة دون أن تنبس ببنت شفة. فتقول "نورا":
- أنا في طريقي إليها.

وتتركه وتوجه إلى غرفة العرش وقبل أن تدخل تفاجئها "فدوى" بوقوفها عند باب الغرفة وتبادرها بقولها:

- عزيزتي "نورا"، اشتقت إليك يا عزيزتي.

وتطعم قبلة على وجنة "نورا" والتي يفاجئها هذا التصرف. "فدوى" ليست هذه المرأة اللطيفة، بل على النقيض هي أقرب للقسوة. من المؤكد أن القادم أسوأ، هكذا ظنت "نورا"؛ وقد كان. تقول "فدوى":

- لي طلب أريده منك ولا أحد يمكنه تنفيذه إلا أنت.

- أنا طوع أمرك يا سيدي.

- أريدك أن تأتيني برأس "مهند".

- ماذا؟ تبا. ستقتلني "أروى" إن فعلت.

- وأنا سأقتلك إن لم تفعل.

- ولكن لماذا؟ "فهند" من أوفى التابعين ولا يآلو محمدا كي يمدنا بما نحتاج، ومتزوج من "أروى"، كما...

- ماذا فعلت بخصوص "حاتم"؟

-... حقيقة أنني ما زلت أفكر كيف يمكننا ضمه إلينا.

- ألم تياسي بعد؟

- ما زال لدي بارقة أمل أنه سيكون عضوا فاعلا معنا.

- لا أريدك أن تتشبهي بأمل زائف، ولكن لا بأس أن تعطيه فرصة أخرى.

- حقا يا سيدي.

- أجل، ولكن كما أمرتك، أريد رأس "مهند".

- سأحضرها لك.

- الذي أظنه، أنه كان مسا من الجن. هل قمت بسكب ماء حار في المرحاض يا "محمود"؟
- لا لم أفعل، وما علاقة ذلك بما حدث لي يا "حاتم"؟ وكيف تقول مثل هذا القول وأنت الذي جئت بي للأطباء وجعلتني أمكث في المشفى أسبوع.

- ما أخبرك به ذووك يجعلني أكثر تيقنا عن ذي قبل. تعرضك للصدمة الكهربائية كفيلة بطرد هذا الجن الذي مسك. ولكن أخشى من أنه يريد الانتقام لما حدث له. وربما يعود إليك مرة أخرى. ولكن كيف مسك.

ارتسم القلق على وجه "محمود"، لقد تذكر للتو الحلم العجيب.

- لقد تذكرت شيئا وإن كنت لا أجده ذا جدوى. لقد حلمت حلما عجيب.

- وقص عليه ما حدث منذ أن أتاه وسرد قصته مع الجنية وبحته عنه في البيت المهجور والحلي الذي وجهه في ملابسه و"لمياء". ليقول "حاتم" وقد عقد حاجبيه:
- بالفعل أنا أتيتك وأخبرتك عن "نورا" ثم انصرفت عندما وجدتك لا تصدقي.
 - لم أكن أحلم! هل تقصد أنني ذهبت للبيت المهجور بالفعل وبحشت عنك هناك؟
 - أجل! هذا هو سر ما حدث لك. الذي مسك جعلك تنسى ما رأيت. لقد استحوذ على جسدك بالكلية. لقد جعلك تتوهم أنك هو، وأن اسمك "أكرم"، وربما هذا هو اسمه الحقيقي.
 - يا إلهي! هذا والله يفوق كل وصف. ما الذي يمكننا فعله الآن؟
 - يجب أن نعود أدرأجنا إلى البيت وتتهي هذا الرابط بينك وبين "أكرم" هذا.
 - فماذا لو هاجمني مرة أخرى، ما الذي تفعله حينئذ؟
 - لا تقلق سأكون معك، وسأوقفه إن فعل.
 - لا يا "حاتم" هذه مخاطرة كبيرة، يجب أن نستعين بأحد ذو خبرة.
 - يا صديقي لقد تتلمذت على يد أحد أكبر الشيوخ الربانيين الملمين بمثل هذه الأمور، الشيخ "غريب" رحمه الله.
 - هل مات؟ كيف مات؟
 - لقد أوداه أحدهم بالرصاص. مات شهيدا.
 - ألم يكن قادرا على معرفة ذلك، ما دام أنه بهذا العلم؟
 - هل تمازحني؟ من يستطيع أن يقف أمام الموت مبارزا. إنه حق علينا جميعا وكلنا ذائقوه.
 - سأستشير الشيخ "محمد" إمام المسجد الكبير قبل أن أقدم على هذه المخاطرة.
 - أنت وشأنك.
 - ينظر "حاتم" إلى ساعة معصمه ويقول:
 - يجب أن أرحل الآن.
 - ألا تبقى لبعد العشاء.
 - معذرة يا صديقي يجب أن ألحق بموعد هام.
 - يقول "محمود" مازحا:
 - صديقتك الجديدة!
 - ... لا.
 - يضحك "محمود" ويقول:
 - يا لك من عرييد.
 - يحمر وجه "حاتم" بخلا وبنهض من جلسته ثم يتجه صوب الباب ويغادر. ويبقى "محمود" يفكر في ما قاله "حاتم". جن وعفاريتم ومس، كل هذا من زمن وجيز كان يعدّه من الخزعبلات. ولكنه الآن يدرك كم هو حقيقي. لقد حان وقت صلاة المغرب، فنهض ليتوضأ ويلحق بالصلاة في الجامع الكبير.

ينتهي "محمود" من صلاته ولكنه لم يجد الشيخ "محمد" في موضع الإمام، فقام إلى "علي" ليسأله:

- السلام عليكم يا شيخنا.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- كنت أريد التحدث إلى الشيخ "محمد" إمام المسجد.
- هو في إجازة.
- كانت صدمة "لحمود" الذي كان يأمل أن يجد الإجابات لدى "محمد". لذا لم يستسلم وسأل "علي":
- هل يمكنك أن تدلني على منزله؟ فالأمر عاجل ولا يقبل التأجيل، ولك أن تقول حرج إلى أقصى درجة.
- أعذر منك يا بني فهذا شيء لا أستطيع أن أساعدك به. إذا أردت أن تجد إجابة سؤال ما فيمكنك سؤالي وأنا سأجيبك.
- تردد في أن يسرد عليه ما أتى لأجله ولكنه في النهاية لم يجد حرجا في أن يفعل. وبالفعل حكى له ما حدث له وما حدث "الحاتم". كان "علي" منصت حتى النهاية، ولم يبد أي تعبيرات.
- لعلك تهمني بالجنون أيها الشيخ، ولكن يعلم الله أن هذا ما حدث. وصديقي يقترح علي الرجوع إلى البيت مرة أخرى وأخشى بشدة من عواقب ذلك، فماذا تنصحي به؟
- انظر يا بني، أنت والله في وضع حرج ولن يقيه سوى العودة كما نصحك صديقك ومحاولة تبين الأمور. خذ حذرك وتوكل على الله.
- أهذا رأيك يا شيخ؟
- نعم يا ولدي.
- سأفعل به إذا.
- ويفارق "محمود" "علي" الذي نظر إلى رجل كان بجوارهما، وينفجر الاثنان ضحكا.

يعود "محمود" إلى بيته لتستقبله "لمياء" بسعادة غامرة وتلاحظ أنه ليس على سجيته فتسأله:

- يا حبيبي ماذا بك؟ أراك وكأنك مثقل بالهموم.
- يجيبها بابتسامة باهتة:
- معذرة يا عزيزتي فأنا مقدم على شيء خطير.
- ارتسم القلق على وجهها، لتقول:
- أقلقيني يا "محمود"، ما هذا الشيء الخطير؟
- إنها قصة طويلة. سأخبرك.
- أخبرها بكل شيء. أخبرها بذهابه إلى المسجد وحديثه مع "علي". لتقول:

- هذا ما أخبرتك به وأنت اهتمتني بالجنون.
- إذا ماذا ترين؟
- توكل على الله. وأنا سأذهب معك.
- لا يا حبيبتي، لا أريدك أن تتعرضي لأذى.
- محال يا حبيبي، لن أتركك تذهب دوني.
- لا حول ولا قوة إلا بالله. كما ترغبين. سأحدث إلى "حاتم" ونجهز لكل شيء إذا.
- تضع وجهه بين راحتها وتقول بشغف باد في عينيها:
- لا تقلق يا حبيبي. لن أدع أحدا يمسك بسوء.
- سبحان الله، هذا الأمر هو الذي جمع بيننا.
- ولن نفترق بإذن الله.
- يعلو صوت هاتفه معلنا عن وجود اتصال. فيخرجه من جيبه وينظر إليه ثم يقول:
- إنه "حاتم".
- ينقر عليه ثم يضعه على أذنه ويقول:
- "حاتم" أخي العزيز، كنت سأتصل بك. "لمياء" أجب... ماذا؟ متى حدث ذلك؟ سأتيك فوراً.
- تسأله لمياء بقلق:
- ماذا هناك؟
- سأخبرك يا عزيزتي، بيد أنه لا يوجد الكثير من الوقت. سأخبرك عندما أعود.
- ويركض "محمود" تتبعه نظرات "لمياء" المتسائلة.
- *****
- لقد نجوت هذه المرة. لو تعلم أنك كنت على مشارف الموت لولا حظك الذي كان جيداً.
- ويلقي الرجل الضخم "مسعود" خارج السيارة وقد أنهى عبارته تلك.
- ينفض عن نفسه التراب الذي علق بملابسه ويتابع السيارة بنظرات نارية. ويغمغم قائلاً:
- أتم لا تعلمون عني أي شيء.
- ويشير إلى سيارة أجرة كانت تمر بالقرب، فتقف ويقبلها إلى شركته.
- يندفع إلى داخل غرفة مكتبه بشركته ويرفع ساعة هاتف ويصرخ قائلاً:
- أريد أن يدفع "مهند" الثمن. أريد أن يكلفه تهجمه علي غالباً. هل تسمعي؟
- ويضع الساعة بقوة. ينظر إلى باب الغرفة الذي يطرق. فيقول بحدة:
- ادخل.
- يفتح الباب ليدخل "مرسي".
- ما الذي أتى بك؟ ألم أقل أريدك أن تفعل به الأفاعيل.

- بالطبع يا سيدي بالطبع. يبدو أنك تعرضت لبعض المشاكل. ألا تخبرني بما حدث؟
وينظر "مرسي" إلى ملابس "مسعود" غير المهندمة. فيقول الأخير وهو ينظر إلى ملابسه:
- آه نسيت، أحضر لي ملابس جديدة من البيت. لقد قام باختطافي ذلك اللعين وكاد أن يقتلني. أريدك أن تلقنه درساً لن ينساه.
- أمرك يا سيدي.

يوقفه "مسعود" قبل أن يخرج من الغرفة بقوله:

- "مرسي"!

- لا تقلق يا سيدي أنا لها.

يخرج "مرسي" من الغرفة و يستخدم هاتفه. ليقول عره:

- "مبروك" أين أنت؟ أريدك في مهمة تليق بك... لا لن أخبر أحداً عن تلك الأنشطة المشبوهة التي تقوم بها لو نجحت في هذه المهمة... سأخبرك عندما أقابلك في بيتك. وينهي المكالمة.

يفتح "مبروك" الباب ويدخل "مرسي" الذي لم يهتم بتحيته ولا مصافحة يده الممدودة إليه. ينظر "مرسي" إليه متعجباً ويقول:

- لماذا تعامل معي بهذه الطريقة المتعجرفة؟ أنت الذي تريد مني شيئاً وفي المقابل تعامل معي باحترام.

يجلس "مرسي" على مقعد ويضع ساقه على الأخرى وينظر إلى "مبروك" بشيء من اللامبالاة ويقول:

- دعك من هذا الحديث عن الاحترام. فأنت تعلم أنني لا أحترمك ولكنني في حاجة إليك الآن. اسمع لما أقول ولا تناقشني. أريدك أن تصيب أحدهم بمصيبة. أريده أن يتعذب ويا حبذا لو يخسر كل أمواله. هل تستطيع أن تفعل ذلك؟ يتملكه الغيظ وهو يقول:

- بالطبع يمكنني ذلك ولكن ما المقابل؟

- أن أتركك وشأنك ولا أفصح سرّك أمام الناس. الشخص الذي أريدك أن تنال منه، يدعى "همند زيدان"، هو رجل أعمال، يحيط نفسه بحراسة مشددة مما يمنعني من النيل منه، وقد أساء إلى رب عملي، وأريد أن يرد الصاع بصاعين.

- "همند زيدان" قلت. لا يمكنني عمل شيء.

- ماذا؟ هل تمزح معي؟ ستفعل ما أقول والّا.

- وهل تظنني أعبأ بما تقول؟ أنت الآن في بيتي وسأسكنك بنفسي.

وبدون سابق إنذار يهوي بفأس كان يضعه بالقرب على رأس "مرسي". تنفجر الدماء من رأس الأخير ويسترخي جسده تماماً. ينزع الفأس بقوة ويتفل عليه وهو يقول:

- ها أنا انتهيت منك أيها الأحق.
- ويقوم بجر جسده وقام بوضعه في الحفرة التي كان يضع فيها نقوده ومعه الفأس المدموم. وقبل أن يغلق الحفرة ويهيل عليها التراب، يرن هاتف "مرسي" فيفزع "مبروك"، يخرج من جيبه وينظر إليه، المتصل كان "مسعود"، فيلقيه أرضاً ويهوي بالفأس عليه ليحطمه تماماً.
- ليتحدث عبر هاتفه قائلاً:
- سيدي أتمت الأمر... حسناً! أمرك يا سيدي.
- ويغلق هاتفه بعدما أنهى الاتصال. يتنبه لصوت طرقات على الباب. فيسأل:
- من الطارق؟
- "خالد"، المحقق "خالد".
- كاد يسقط مغشياً عليه، ماذا يفعل؟ ما زالت دماء "مرسي" الدافئة متناثرة في كل مكان. يهرع ليجطي بقعة كبيرة من الدماء بقطعة سجاد ويحاول أن يزيل البقع الصغيرة المتناثرة بخرقه.
- يعود "خالد" ليطرق الباب، فيجيبه "مبروك":
- حسناً، حسناً... أنا قادم لأفتح لك الباب.
- ينظر في محيط المنزل ليرى إن كان تبقى أي أثر. لم يكن راضياً بشكل تام ولكنه يأمل أن "خالد" لن يلاحظ ذلك. فتح الباب ووقف خلفه وهو يرسم ابتسامة مصطنعة ويقول:
- مرحباً بك أيها المحقق. أي رياح طيبة أتت بك؟
- كانت نظرات "خالد" حادة بشكل أثار رعب في قلب "مبروك". وازداد رعباً حينما دفعه "خالد" وولج وهو يقول:
- مالك!
- مالي!
- أجل لقد وجدنا مالك.
- بدا على "مبروك" أنه لم يستوعب ما قاله "خالد" للتو مما أثار تعجب خالد فيردف:
- أيها الرجل لقد وجدنا مالك. لماذا تبدو واجباً هكذا؟
- لم أظن أنك ستساعدني بعدما علمت بما قام به "أشرف".
- بالفعل كنت سأجاهل ما يتعلق بهذه القضية، ولكن هذا ليس من شمي، لذا تحريت بشكل موسع ووجدت أن هناك سرقات متكررة في حيّك، مما جعل الشبهات تتجه إلى شخص واحد: "مرسي"!
- الذهول كان التعبير الوحيد على وجه "مبروك". قال بخفوت:
- "مرسي"!
- فتدارك نفسه وأردف:
- اللعين! ولكن أين النقود؟
- لا ندري بعد، كل الأدلة تشير إلى "مرسي"، ولكننا لم نعر عليه حتى الآن، ربما يكون قد

هرب بأموالك. كونه صديقي لا يجعله فوق الشبهات. هل تعلم أين هو؟
بتلقائية نظر "مبروك" إلى الغرفة التي يقبع فيها جسد "مرسي" وقال:
- لا... لا أعلم.

فيقول "خالد" وهو يفكر:

- إذا لقد هرب، فلم أجده في منزله ولا في عمله. سأتابع البحث عنه لا تقلق، وسنجد مالك.
- شكرا لك يا سيدي، جهد مشكور.
- هذا كل شيء. سأغادر الآن.
- حللت أهلا يا سيدي، بالتوفيق.
- شكرا لك يا "مبروك".

ويغادر "خالد" ويرافقه "مبروك" حتى الباب. ليتنفس الأخير الصعداء، ويقول وهو ينظر إلى
الغرفة التي بها جثمان "مرسي":

- أيها الوعد سرقني وأردت أن تهرب بمالي، ها أنت لاقيت ما تستحقه.
لمعت عيناه ليقول:

- أنا أعلم أين وضعته، لقد كنت تردد دوما أن أفضل مكان لإخفاء أي شيء هو البيت
المهجور. وأنا أجزم أنك وضعت مالي هناك.
يحزم بعض الحاجيات ويخرج من منزله ويسير مبتعدا. وعلى مسافة ليست بالبعيدة جلس
"خالد" و"كريم" يراقبانه ثم يتبعانه.

كان الاتصال يصدر عنه صوت الجرس والآن توقف. يحاول "مسعود" أن يعيد الاتصال بلا
فائدة. يستخدم الهاتف الموضوع أمامه ويقول:

- لم يأتي بعد... حسنا.

ويضع الساعة بقوة، ويغمغم بقوله:

- أين أنت الآن يا "مرسي"؟

يرن الهاتف فيرفع ساعته ويقول بحدة:

- ماذا؟... "همند"!!!... سألتقي المكالمة.

ينصت لما يقوله "همند" ويتغير لون وجهه شيئا فشيئا، هناك ما يفزع، فيقول:

- سأفعل. لا لا... سألي لك كل ما تريد... أفهم يا سيدي... أفهم يا سيدي... لا... أرجوكم
سأفعل أي شيء.

وينهي المكالمة ويقوم بأخرى ثم ينتظر قليلا ليقول:

- أريدك أن تهي الصفقة مع "همند"... كما سمعتني انهبيا بالسعر الذي يرغب.

يدرك أنه لا يملك خيارا. لقد تعدى "همند" كل الحدود. والآن وضع أسرة "مسعود" في مرمى
انتقامه، هكذا أخبرته هذه الأفعى زوجته الآن.

وفي غرفة مكتب "مهند" جلس الأخير وقد اعتراه الحبور واستدعى "سليمان" ليقول له:
- اصرف مكافأة لكل العاملين تعبيراً عن امتناني لنجاحنا في إتمام الصفقة مع "مسعود".

يقول "سليمان" بسعادة:

- مبارك يا سيد "مهند"، أحسنت حقيقة.

- سأقولها إحقاقاً للحق، زوجتي "أروى" نجحت فيما فشلنا فيه، ولولاها ما كنا حصلنا على هذه الصفقة.

- بارك الله لك فيها يا سيدي، هل لي أن أسأل كيف استطاعت أن تقنع "مسعود"؟

يقول "مهند" بغموض:

- لها أساليبها التي تقنع أي أحد. هيا اذهب ونفذ ما أمرتك به.

- أمرك يا سيدي، سأنفذ فوراً ما ترغب فيه.

ويغادر الغرفة. جلس "مهند" أمام حاسوب موضوع أمامه على المكتب، واستمر في الاطلاع على شاشته والكتابة على لوحة المفاتيح. دقائق مرت فإذا بهاتفه يتلقى اتصال، لقد كان من "نورا". أجب الاتصال بمنتهى السعادة وهو يقول:

- "نورا" العزيزة، أنفعل كثيراً بك يا عزيزتي. إن طالعك على أكثر من رائع... أجل لقد انتهيت من صفقة كادت أن تصيبني بخسارة كبيرة لولا مساعدة حبيبتي "أروى" لم أكن لأنجح... تريدني أن تأتني. بالطبع يا عزيزتي. أنا في انتظارك... أراك فيما بعد.

وينهي الاتصال. ويعود إلى عمله على الحاسوب. فإذا بشيء يحترق زجاج نافذته ويضرم النيران في كل شيء. يصرخ بفرح:

- حريق... حريق.

ويركض باتجاه الباب ويفتح الباب والذي وقف خلفه العديد من الموظفين الذين هرعوا لنجدة. كان منظر الغرفة مريعاً والنيران تلتهم كل شيء. يخرج الجميع من الشركة إلا هو حاول أن يقاوم النيران بمطفأة الحريق والتي لم تجدي نفعا، فالحريق كان أكبر من أن توقفه واحدة. يشعر بالنيران التي تلتفح وجهه ويده فيبقى بالمطفأة ويركض خارجا. يقف يراقب الحريق من خارج المبنى الذي به شركته. كل شيء أكلته النار. يا لها من خسارة فادحة. ولكن من أشعلها؟ أخذ ينظر إلى وجوه الواقفين يراقبون ذلك المشهد بعيون مشدوهة تماما. أتت سيارة رجال الإطفاء الذين لم يتوقفوا للحظة عن محاولة إخمادها قبل أن تنتشر في المبنى بأسره.

- لا عليك ستنشئ شركة جديدة خيرا من هذه.

ينظر إلى "نورا" قائلة العبارة والنيران تنعكس على عينيها. كان متماسك لأقصى درجة، كونه أحد الرجال الأشداء، ولكن نظرات "نورا" أذهبت كل قدر من شكيمته، فانسابت دمعة من عينه. حاول أن يخفيها ولكنها رأتها فقالت:

- لا تحزن، أنت أقوى من هذا. أليس كذلك؟

يوميء برأسه قائلاً:
- أجل.

فتقول بلهجة مغايرة فيها بعض الحدة:
- دعنا نغادر.

اتسعت عيناه وقد ذهل من أسلوها. فقال:
- ولكن ماذا عن الشركة؟

- لقد انتهى كل شيء. هيا فالمملكة في انتظارك. هيا رافقتي سأفلك بسيارتي.
شعور جارف يدعوه لكي يرفض ولكنه لا يملك من العزيمة لكي لا يلبي نداء المملكة، لذا انطلق معها بالسيارة. قادت به ليسأل:

- أين تذهبن بي؟

لتعالجه برش مادة على وجهه، فيحاول أن يمنعها فيمسك بيدها يريد أن يزرع منها الرشاش. شيئاً فشيئاً تخور قوته ويسترخي جسده تماماً. تنظر إليه ببرود وتقول:
- لقد خسرت كل شيء. حياتك وشركتك وكل مالك.

تتحدث عبر هاتفها قائلة:

- نعم يا مولاتي إنه معي الآن وقد أجهزت على شركته كذلك كما أمرت... سأتوجه إلى البيت المهجور الآن... حسناً كما تأمرين.

رأى ظلال تحوم فوق رأسه وشعر بالخواء. لا يدري أين هو ولا ما الوقت الآن، والظلام دامس إلا من بصيص ضوء يشع باستحياء على مقربة من مكانه. إنه ممدد على طاولة ما ومقيد اليدين والقدمين وكذلك من خصره. حاول النهوض ولكنه وجد القيد حائلاً دون القيام.
- "حاتم"... "حاتم"... عزيزي "حاتم".

تلقت "حاتم" بحثاً عن القائل. وأخيراً رآه، لقد كان يقف بعيداً عن الضوء. تقدم لدائرة الضوء ليظهر وجه "سليم". يقول "حاتم" بهدوء:

- من أنت؟ وأين أنا؟ ولماذا أنا مقيد هكذا؟

- أسئلة... أسئلة... وكلها أسئلة في غير محلها. ولكني سأجيبك. أنت في بقعة مباركة بمعدل عن الكون بأسره. مصيرك قد تحدد، ونهايتك قد أذفت. أما أنا فمفسر الموت، ورسول الهلاك. وأنت على وشك أن تكون شيئاً أعظم مما تتخيل، ستكون رديف العظماء.

- أنا الآن القربان في طقوس الظلال، أليس كذلك؟

ظهر الانبهار على وجه "سليم"، ليقول وهو مبتسم:

- أخبرتك أنك تعلم الكثير عن طقوسنا السرية، وقد عرض عليك الانضمام إلينا فأبيت. فلم تدع لنا حلاً سوى أن تكون ضمن المصطفين.

- أين "نورا"؟

- وكيف لي أن أعلم؟
- هل هي موافقة على ذلك؟
- ومالها ألا توافق؟ أنت الذي رفضت في البداية.
- أنا لست قلقا، فصديقي المقرب على علم بأنني قد اختطفت وسيقوم بإخطار الشرطة. أنا في البيت المهجور، أليس كذلك؟
- كيف علمت؟
- لا بد من وجود مكان يكون هو المذبح، وأظن البيت هو أفضل مكان لitim عمل طقوس التضحية.
- يهرو ل "سلم" مبتعدا ليلتلهه الظلام، فيقول "حاتم":
- هيا اهرب، ولكنك لن تهرب بعيدا، سستلقى جزاءك لا ريب و...
- يخرسه ظهور وجه "محمود" وهو مقيد ويحملة الرجل الضخم، فيقول "سلم" تهكم وهو يسير بجوار الأخير:
- ألا ترحب بصديقك الحميم؟ "محمود"، هذا اسمه، أليس كذلك؟ لقد هرع إلى هنا واعترف بأنه لم يلجأ إلى الشرطة. لا أحد يعلم مكانكما. لذا أنتم في عداد الهالكين.
- يوضع "محمود" على طاولة مجاورة، ويقوم الضخم بتوثيقه وهو في حالة يرثى لها، يبدو أنه تعرض للتعذيب ليخبرهم بكل شيء. قال "حاتم" له:
- "محمود" هل أنت بخير؟ أعترض منك، وضعتك في موقف لا تحسد عليه.
- يجيبه "محمود" بصوت وابتسامة واهنتين:
- لا تثرب عليك أخي العزيز، فلقد تسببت به من حيث لا أدري.
- يقاطعها "سلم" قائلا:
- يا لكما من صديقين، عزاء كما أنكما سستلقون نفس المصير.
- لحظات ويسمع صوت امرأة تتحدث إلى "سلم". صوتها كان خافتا، فلم يسمع عما يتحدثان.
- ولكن صوت وقع خطوات تبعد ظهر جليا. يحاول "حاتم" أن يزيل القيد ولكن بلا فائدة.
- فيقول في استسلام:
- لا فائدة. سأحاول استدعاء "نورا".
- فأخذ يتم بعض الكلمات التي بدت بلا فائدة.
- لن تأتي يا "حاتم"، سبق السيف العذل. إنها لا تدين لك بشيء.
- ولكن ما بيننا يحطم كل القواعد ويتجاوز كل الحواجز. إنه الحب الذي جمع بين قلوبنا.
- يا لك من ساذج.
- تتعالى وقع الأقدام مرة أخرى وهي تقترب منها، لقد ظهر وجه القادم، إنها "فدوى" والتي وقفت تنظر إليها وتقول:
- انضما إلينا وسنعفو عن دميكما. سستعيشان في رعد في كنفنا، سستضويان تحت لوائنا وتحطيان

بالسلطة والقوة.

فيقول "حاتم":

- في مقابل ماذا؟

- ستنزعنا عنكم ثوب الجهل والخرف، وتصيحا من تابعينا الأوفياء.

- وهذا الثوب الذي تقصدين هو ديننا، أليس كذلك؟ تطلين منا أن نكون عبيدين لكم وتتخذ من هرطقتكم ديننا لنا. لا والله لن يحدث هذا، سيدتي أنت تحملين؛ فبالرغم من كل شيء، معتقداتنا ستبقى شيئاً راسخاً في قلوبنا لا يقبل القسمة. عرضك مرفوض يا سيدتي.

يصرخ "محمود" قائلاً:

- تحدث عن نفسك، أما أنا فكلّي استعداد لكي انضم إليكم.

يصرخ "حاتم":

- "محمود"!

يقول "محمود" وقد اعتراه خوف شديد:

- لا أريد أن أموت. أرجوك يا سيدتي.

نظرت إلى الأخير بنظرة فاحصة ومشت بعيداً وهي تقول:

- للأسف أنت بجبنك هذا تجعلني أرفض طلبك. وسأبقى على طاولة المذبح حتى يحين وقتك .

تغادر وينظر "حاتم" "لمحمود" ويقول:

- هل كنت تصدق أنها ستتركنا لنرحل بهذه البساطة، إنهم لا إيمان لهم.

- إذا ماذا فعل؟ سنستلم إلى مصائرنا!

ثوان ويعلو صوت يقول:

- أنظر! هناك اثنان مقيدان.

يقترّب القائل ومعه رفيقه. لقد كانا "محمد" و "مؤمن" والأخير يشهر مسدساً. يقول "محمد"

وهو يفك أسارها:

- ماذا تفعلان هنا؟ ومن فعل بكم ذلك؟

- شكراً... جزيل العرفان لكما، لقد اختطفنا، وخاطفونا ليسوا ببعيد عن هنا.

يقول "مؤمن":

- هيا لنخرج من هنا، أظنهم غادروا قبل أن نوقفهم.

وما إن أنهي عبارته حتى هوت عصا غليظة على يده الممسكة بالمسدس، أتت من اللا مكان،

فبقت المسدس ويصرخ:

- آآآ.

يحاول أن يستعيده ولكن "سليم" يسبقه إليه ويوجهه اتجاه "مؤمن"، ويظهر الرجل الضخم

ممسكاً بالعصا. فيقول "سليم":

- أهلاً بك يا رئيس الشرطة. هذه المرة لن تهربا. ستنضمان إليهما الآن وستلقيان نفس المصير. يقفز "مؤمن" باتجاه "سليم" في محاولة لأخذ المسدس من يده ولكن "سليم" يتراجع ويتفادى ذلك الهجوم، بيد أن "حاتم" يتدخل فيتمكن من الإمساك باليد التي تحمل المسدس، ولكن "سليم" يطلق النيران التي دوت بقوة. ويتصارع "سليم" و"حاتم" صراعاً شديداً من أجل الاستحواذ على المسدس، ويهوي الرجل الضخم بعصاه على رأس "مؤمن" والذي يتفادى الضربة ويلكمه بقوة في وجهه. ويستمر القتال لدقيقة أو اثنتين وينتهي بتقييد الضخم وهروب "سليم". يقودون الضخم إلى الخارج وفي طريقهم يقابلهم "مبروك" والذي فزع بشدة ووجد السلاح مشهراً في وجهه، ليقول "مؤمن" بصرامة :

- من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

- أ... أنا "مبروك"، وأتيت بحثاً عن مالي.

- أي مال؟

- مالي، لقد سرق "مرسي" مالي وأخفاه هنا.

- "مرسي"! هذا لا يعنيني، تقدم معنا سنذهب جميعاً إلى عمدة المدينة وستدلي بأقوالك أمامه.

ويسيرون جميعاً إلى سيارة "مؤمن" وسيارة "محمد" واللتان تنطلقان إلى منزل عمدة المدينة. وتتبعهم سيارة "خالد" ومعه "كريم" واللذان تعجبا من وجود "مؤمن" بالبيت. ليقول "كريم" "لخالد":

- هل سنعلن عن أنفسنا؟

- لا ليس بعد، لنتابعهم ونرى ماذا ستسفر عنه الأحداث.

وعلى مسافة ليست بالبعيدة شاهدت "نورا" خروج هذا الجمع من البيت، فأدركت أن "فدوى" قد خانتها، وجعلت "حاتم" قرباناً، ولم تفي بما وعدت. لذا أطلقت سراح "محمد" بعدما أفاق. ليقول لها:

- شكراً لك يا "نورا". أنا مدين لك بحياتي.

تركته يركض وتقود سيارتها مبتعدة.

كان عمدة المدينة يكن الاحترام والتقدير "لمؤمن" والذي أراد أن يظهر له براءته عله يعيده إلى منصبه القديم كرئيس الشرطة. في البداية كان الضخم صامت ولا يريد الاعتراف بخطف "مؤمن" و"محمد" والذي جعل الجميع يظن أنه هرب. ولكنه في النهاية أقر بكل شيء بعدما تعهد العمدة بأن يخفف عنه العقوبة وقد يطلق سراحه في النهاية إذا أخبره بكل شيء. وبالفعل أقر بكل ما أقدم عليه من خطف "لمؤمن" و"مسعود" و"حاتم" و"محمد". وأنه قام بذلك بإيعاز من "سليم" و"أروى". التزم العمدة الصمت جراء ما سمعه. وعلم أن هناك عصبة لديها من

الجرأة لكي تعتدي على رئيس الشرطة نفسه. وأن البيت يمثل بؤرة للإجرام يجب وضع حدا لما يحدث فيه. يستدعي العمدة الرئيس الجديد للشرطة، ويتحدثان سويا على انفراد في غرفة مغلقة. ليخرج رئيس الشرطة مغاضبا من الغرفة ويرمق "مؤمن" بنظرة نارية ثم يغادر. أما "مبروك" فقام بقص قصته ووضعها بين يدي العمدة، والذي وعده بالنظر فيها والبحث. ولكن كان سؤال "مؤمن" مفحم "لمبروك":

- كيف علمت أن مالك في المنزل؟

- ارتبك "مبروك" الذي كانت إجابته:

- لقد أخبرني بنفسه أن أفضل مكان لإخفاء أي شيء هو ذلك البيت.

- ولكن أين هو "مرسي" ذاك؟

- هه... لا أدري.

- كاذب!

كان هذا "خالد" الذي استأذن للدخول وقد وضع الأصفاذ في يدي "مبروك". والأخير لا يفهم لماذا يكبل، فيقول:

- ما الذي ارتكبته؟

- لقد وجدنا جثة "مرسي" والفأس في مسكنك. لقد أمرت بعض الجنود بتفتيش منزلك في غيابك. لقد قتلته لأنه سرقك، أليس كذلك؟

- لا... أبدا لم أفعل.

- لا داعي للإنكار.

- أقصد أنني لم أقتله إلا بإيعاز من "مهند".

ليسأل العمدة:

- من "مهند"؟

- رجل الأعمال الشهير.

فيقول العمدة بغضب:

- أنت كاذب. السيد "مهند" معروف بنزاهته واستقامته.

- لا يا سيدي هو الذي أخبرني بأن "مرسي" سيستعين بي وحين يفعل أقوم بقتله.

- اللعنة. هيا خذه من هنا وأودعه السجن أيها المحقق.

وينظر إلى مؤمن ويقول:

- "مؤمن" يبدو أننا في حاجة إليك بشدة.

- وأنا طوع أمرك يا سيدي.

يعود "سليم" مهورولا ليقول في جزع "لقدوى":

- سيدي لقد جاءني الخبر التالي، لقد وافق العمدة أن يسترد أمر الشرطة مكانه من جديد

وأسقط كل التهم ضده.

- يا المصيبة! لماذا لم نسيطر على العمدة؟

- إنه رجل تقي ورع ولا قبل لنا به.

- فماذا الآن؟

- قوات الشرطة تتجمع أمام البيت لاقتحامه وكلها دقائق وسيتم تلويث المكان بأسره. وسيمع دخول أي أحد للبيت.

- يا للكارثة.

صوت صراخ "كنعان" يسبق قدمه:

- أيها الأغبياء، لقد أفسدتم كل شيء. سأصعب جام غضبي عليكم. ستلقون نهايتكم على يدي. يخرجون ساجدين ويقولون "فدوى":

- نحن طوع أمرك يا سيدي، سنفعل كل ما تطلب ولكن لا تقتلنا، أرجوك.

- سبق السيف العدل، سيتم التضحية بكم على المذبح. خذوهم من هنا.

تقودهما "نورا" و"أروى" والاثنان قد انهارا تماما وقد أدركا أنها يساقان إلى مصارعهما.

تقتحم قوات الشرطة البيت وقاموا بتفتيش المكان بحثاً عن المسروقات من حلي وجواهر فلم يجدوا لها أثر. ولكنهم وجدوا العمل السحري المرصود "لؤمن" في القبو.

بعد الانتهاء من التحقيقات رأى العمدة تحويل البيت إلى متنزه. فكان يوم مشهود والجرفات تهدمه. اجتمع الناس ليشاهدوا سقوط هذا الصرح ويقول من شهد الواقعة بسماهم لصوت خيب.

"فريد" لم يصدق حينما أخبروه بالعثور على جثة "عثمان" فأخذ يقسم بأنه كان معه داخل البيت حياً يرزق.

- إنهم الجن! لقد قتلوه.

فقال "كريم":

- أي هراء تقول؟ أنت من قتلته لتستولي على المسروقات لنفسك. اعترف خيراً لك. وأخبرنا أين أخفيها؟

بيكي وهو يقول:

- لست أنا، أقسم لك يا سيدي

"البيت المهجور مسرح للجريمة"

هكذا كتبت الصحيفة! وتداول الناس الخبر والكل لا يصدق أن الشرطة اقتحمت المكان ولم يصاب أحد بأذى.

وفي داخل مقر الجريمة.

- "أشرف"! أنت قيد التوقيف.

ويكبله "خالد" واضعا يديه خلف ظهره ويقوده إلى خارج الجريمة. ويهمس في أذنه:

- أتريد أن تؤذيني بأعمال السحر. أخراك الله، لقد افتضح أمرك.

- هل تهمني بذلك؟ أهذه جريرتي التي توقفتني من أجلها؟

- لا، بل أنت متهم بالقتل. بقتل المشرّد الذي وجدت جثته مثل بها.

- أي تهمة هذه؟ لا يوجد لديك أي دليل ضدي.

- فهاذا عن الأنسجة الموجودة بسيارتك.

- أي أنسجة؟

- هذه الأنسجة.

ويريه مظلوما شفافا يحوي قطعة من القماش.

- لا أعلم عنها شيئا. إنك أنت من وضعتها في سيارتي. أتركني، أيها المخادع.

- ستواجه الإعدام نظير ما ارتكبت.

- لا... لا

وينهار في البكاء.

يجلس "أشرف" في السجن بجواره "رائد" الذي تم القبض عليه بتهمة الاتجار في مواد ممنوعة، و"محمد" المتهم بالتحريض على القتل. يقول "رائد":

- أهلا بكم أيها الضيوف. أنا "رائد"، ويمكنني أن أكون لكم عوناً خلال مكوثكم هنا. فيم أتم؟ ينظر إليه "محمد" فيجيب:

- حرصت على قتل أحدهم ولكني سأخرج من هنا في القريب، لا دليل ضدي.

- وماذا عنه؟ إنه لم ينس ببنت شقة منذ مجيئه.

و يرمق "أشرف" بنظراته، فيبادله الأخير النظرات ولا يجيب. فيستطرد "رائد":

- لا يبدو أنه يريد التحدث، لا بأس. سيتحدث في وقت ما.

يسأل "محمد" "رائد":

- وماذا عنك؟ ما تهمتك؟

- وجدوا في بيتي مواد مخدرة، هي ليست لي. استمر في إخبارهم ذلك ولكنهم لا يتوقفون عن توجيه الاتهام لي.

- نحن في دولة قانون، وذلك يكفل لك حقوق ومنها وجود أدلة كافية ضدك لكي يتم إدانتك.

- صدقت يا سيدي، يبدو أنك تعلم الكثير عن القوانين. ما مهنتك؟

- أنا رجل أعمال.

- يقول "أشرف" وقد أثار الحوار انتباهه:
- وماذا عن تهمة ملفقة. كيف السبيل إلى إثبات حقيقة ذلك؟
 - يسأل "مهند" وقد تعجب من السؤال:
 - هل هذا ما حدث معك؟
 - بأسى شديد يجيب "أشرف":
 - أجل، إنه أحد المحققين وضع أدلة ضدي في سيارتي وقام بتوقيفي. وها أنا الآن أنتظر المحاكمة بتهمة قتل أنا بريء منها.
 - ولماذا فعل ذلك بك؟
 - لقد أردت أن أسحره وهو اكتشف ذلك.
 - تسحره! كيف؟
 - هناك رجل يقوم بالسحر مقابل المال، وقد ذهبت إليه ولكنه أفشى سري لهذا الضابط.
 - من هذا الرجل.
 - يدعى "مبروك".
 - تقصد "مبروك" الشيخ.
 - نعم هو بذاته، هل تعرفه؟
 - إنه الذي شهد ضدي.
 - اللعين المحتال.
 - يقول "رائد":
 - إذا أنتما لديكما نفس الشخص الذي يدينكما. ماذا لو اختفى هذا الشخص؟ هذا سيسير خروجكما من هنا.
 - يقولان في آن واحد:
 - نختفي! كيف؟
 - هذا هو تخصصي.
 - يقول "مهند":
 - وما المقابل؟
 - لا شيء صداقتكما تكفيني.
 - وما أن تم عبارته يقوم الحاجب بفتح باب الزنازة، فيفزعوا جميعهم.
 - "أشرف" سستخرج من هنا الآن.
 - يقولها "كامل" وقد وقف أمام القضبان الحديدية. فيرفع "أشرف" عينيه، التي خلت من بريق الأمل، ناظرا إليه، ويقول:
 - كيف وقد ألصقت التهمة بي بالأدلة؟
 - لا لم يجدوا دليلاً ضدك. لقد كانت مكيدة انتقاما لما قمت به حيال المحقق "خالد". توقف عن

تلك الأفعال الصبائية والآن أساعدك مرة أخرى.
يغادر مع "كامل" الذي يرافقه، و"مهند" و"راند" يتبعانه بنظرهما.

يستيقظ "حاتم" على صوت طرقات على الحائط. يستفيق وهو يبحث بعينه عن مصدر الصوت. ولكنه لم يجد شيئاً. يتسم وهو يرى الحلي والأموال التي كانت كالجبل الصغير أمام ناظره. ويقول:

- "نورا" يا لك من لعب.

ينهض من رقدته ويتمتع في هذا الكنز الذي أمامه، ويفحصه قطعة قطعة مبدئاً انبهاره مما يرى. يفرغ من صوت طرقات على باب غرفته المغلق؛ ثم يأتي صوت أمه والتي تطلب إذنه لكي تدخل عليه. وفي عجلة يجمع الحلي ويضعهم أسفل الفراش ثم يفتح الباب وهو يرسم على وجهه ابتسامة.

- هناك من يطلب حضورك.

- من هو ؟

- لم أره من قبل ولكنه يقول أنك شاركته أوقات عصيبة ويريد أن يتحدث إليك.

- دعيني أرتدي ثيابي وسأستقبله بنفسي.

- حسناً يا بني.

قمت إلى الضيف والذي كان شخصاً غير متوقع؛ إنه شريك في الحبس في القبو. وبدون أن أراعي آداب التعامل مع الضيف قلت:

- كيف علمت بمكان سكني ؟

- ألن تدعوني للدخول ؟

- لا لن أفعل، أنت تتعقني حتماً، لقد اختفيت بعدما أردى رئيس الشرطة الشيخ، مما جعلني أنسى كل شيء متعلق بك.

يبدو أن صوتي كان مرتفعاً مما جعل أمي تقول:

- هل أنتما بخير.

- لا تقلقي يا أمي جميعنا على ما يرام.

فهمس قائلاً:

- سأخبرك بشيء سيجعلك أكثر اطمئناناً. أنا مرسل من قبل "نورا".

فغرت في من هول المفاجأة، واتسعت عيناها مدركاً بعض المشكلة. حاولت أن أتماسك وقلت:

- م... من أنت ؟ وكيف علمت "بنورا" ؟

فإذا بأبي تدعوه للدخول قائلة:

- لا يصح أن تستقبل ضيفك وتتركه واقفاً دون أن تدعوه للدخول. اعتذر منك يا سيدي، أرجوك تفضل.

وترميني بنظرة معاتبة. لم أستطع أن أوقفه أو أوضح لها كنه هذا الضيف. أدخلته إلى غرفة الضيوف، وذهبت لتحضر له الشاي كما أراد. لم أعد أدري ماذا أفعل، هل هذا الشخص إنسي مثلنا؟ أم هو شيء آخر. فرعت عندما وضع يده على فخذي. صحت قائلاً:

- ماذا أنت فاعل؟ ابتعد عني.

- يا "حاتم" جئتك بالخير ولا أضمر لك إلا الحبور، ما تخفيه من كنز لا يساوي شيئاً مما ستحصل عليه لاحقاً.

- ك... كنز أي كنز؟

- لا تنكر. هذا لا يهم. المهم أنك تدرك أننا نرعاك وتتولى شؤونك. ونريدك أن تعمل معنا.

- أعمل معكم! من أتم؟

- نحن الأسياد، نحن من بأيدينا مقدراتكم وحتى أرواحكم. نحن الظلال.

- هيا اخرج من هنا. لقد أعلنتها صراحة أنا لن أنصاع إلى رغباتكم المشبوهة.

- كما ترغب، هذه هي المرة الثانية التي نعرض فيها عليك ضمك إلينا. وقد أعذر من أندر.

احترس لنفسك.

- ما الذي تقصده؟ أتقوم بتهديدي في بيتي؟

وبكل هدوء توجه الرجل إلى باب المسكن، وكاد أن يصطدم "بأم حاتم"، والتي دخلت الغرفة وقد راعها صراخ ابنها، ويخرج. فنقول:

- ما الذي حدث؟ لماذا ذهب الضيف بهذه الطريقة؟

- لا تلتقي بالآيا أمي، إنه غير مرحب به.

شممنا رائحة شيء ما يحترق. لنقول:

- هناك شيء ما يحترق. أنشم رائحته؟

- نعم.

تبعاً الرائحة ليجدا النيران قد شبت في غرفة "حاتم" وتتأجج بشدة وتأتي على كل شيء.

- لم ينتهي الأمر بعد. البيت المهجور أصبح ركاماً وطويلاً صفحته، ولكن يبقى أن نطيح بكل من هو منخرط في هذا الأمر.

قالها "مؤمن" في اجتماعه مع "محمد". ليقول الأخير:

- حان لنا أن نفهم أكثر، هناك أيادي خفية تعبث بالمدينة وتخلق الفوضى.

يستأذن "كريم" للدخول عليهما ويميل على أذن "مؤمن" ليهمس له بشيء ليحتقن وجه الأخير ويقول في صرامة:

- فلنتحرك فوراً.

ويخرج مع "كريم" دون أن يخبر "محمد" عن أي شيء. كانت نظرات عدم الفهم تغطي وجه الأخير والذي خالجه الظن أن ما أخفي عنه ربما من أسرار العمل. ليقطع صوت "مؤمن" حبال

أفكاره بقوله:

- شيخ "محمد" هيا بنا.
- ينطلقون سويا في سيارة "مؤمن" والأخير يوضح "لمحمد" ما غاب عنه:
- هناك علامات استفهام حول حادث مروري أودى بالسائق ولكن زوجته نجت. وقد أدلت بأقوال ظن المحققون منها أنها فقدت عقلها؛ بيد أن كل ما قالته يوافق ما رأيناه سويا. أريدك أن تسمع ما نقول ولنحاول أن نقف على حقيقة الأمر.
- حسنا، فلنفعل.
- "نجوى" كانت واجمة تماما، كانت جالسة على الفراش في المستشفى تنظر إلى اللا شيء.
- جلسوا بالقرب منها يراقبونها عن كثب. حاول "مؤمن" أن يدفعها للإفصاح عما لديها، ولكن ذهنها كان في مكان آخر.
- سيدة "نجوى" تقبلي تعازينا الحارة. أنا "مؤمن" رئيس الشرطة، وجئتك مع رفاقي هؤلاء لنسمع منك قصة ما تعرضت له أنت وزوجك.
- وكأنه لم يقل شيئا أو لم تسمع ما قاله، فوجهها متحجر تماما. يقول "مؤمن":
- سيدة "نجوى"... سيدتي هل تسمعينني ؟
- وكأن مؤمن فقد الأمل، فأشار إلينا أن نستعد لمغادرة الحجرة. وإذا "بنجوي" تقول:
- سيفزو الظلام كل شيء، وسيترج عالمان فينيان الحياة على سطح البسيطة. لقد ظهرت العلامة، وخرج الموتى يطلبون حقهم في الحياة.
- ماذا حدث يا سيدتي ؟ ماذا رأيت ؟
- رأيت الظلال على وجه القمر. رأيت أحدهم يغرق ثم يعود ويطاردنا.
- أين حدث ذلك يا سيدتي ؟
- هه... أعلى الجسر الجنوبي... كيف هو زوجي ؟ هل هو بخير ؟
- لقد رحل.
- لتنهار بأكية.
- يشير "مؤمن" بالمغادرة ليتركوا المرأة لأحزانها. فيسأل الأخير:
- ماذا ترى يا شيخ "محمد" ؟
- المرأة في حالة صدمة شديدة وهذا يجعل أقوالها مشكوك في صحتها.
- ليقول "كريم":
- وهذا رأيي يا سي...
- وقبل ابتعادهم بشكل كافي يسمعون صراخ المرأة فيهرع "مؤمن" إليها، ليرى المشهد المفزع. هناك ما يشبه الغمامة السوداء تحيط بها وهي تستمر في الصراخ. بدت أنها تختنق. يندفع "مؤمن" إليها ويدفعها بعيدا عن الفراش، لتحيط الغمامة "بمؤمن" والذي يحاول بشتى الطرق إبعادها دون جدوى. يحتنق وجهه بشدة، حتى يوشك على الهلاك.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
 قالها "محمد" لتنتشع الغمامة تاركة "مؤمن" وهو يجاهد ليلتقط أنفاسه.
 يقول "كريم" وهو يتفقد "مؤمن":
 - هل أنت بخير يا سيدي؟
 - نعم... نعم... هل أنت بخير يا سيدة "نجوى"؟
 ما زالت منهارة ويندفع للغرفة الطاقم الطبي الذي يعيدها إلى فراشها ويقومون بفحصها.
 - ما هذا يا شيخ "محمد"؟ أي عمل شيطاني ذاك؟
 - لا أدري يا سيدي، ولكن يبدو أنها قالت الحقيقة وعلى كاهلنا كشف هذا الغموض.
 - هناك شيء نفتقده، الخيط الذي يدلنا على الحقيقة كاملة.
 يقول "كريم" وقد فتق ذهنه إلى فكرة:
 - سأبحث عما تفوهت به. قالت ظلال على سطح القمر أليس كذلك؟
 يصحح "محمد" مقالته:
 - على وجه القمر.
 يخرج هاتفه ويقوم بالتحدث من خلاله بلهجة أمرة قائلاً:
 - أريد كل المعلومات المتعلقة بما يعرف بالظلال على وجه القمر.
 وينهي الاتصال، ثم ينظر إلى "مؤمن" ويقول:
 - دقائق يا سيدي وسنعرف كل شيء.
 يستقلون السيارة التي تنطلق بهم قافلة إلى مركز الشرطة.

- "كنعان" يجلس على الكرسي وعلى الأرض أمامه يجلس كلا من "أروى" و"نورا" و أبوها.
 يصرخ قائلاً ومتأففاً:
 - هذا الجسد الضعيف لا يجدي نفعا. يجب أن نشرع بعمل الطقوس. يجب أن أحظى بجسد حقيقي.
 يقول أبو "نورا":
 - ولكننا فقدنا المذبح ولم يعد بمقدورنا إعداد آخر ولم يتبقى على تعامد القمر سوى بضعة ليال.
 ينهض عن كرسيه مفكراً لدقيقة ثم يقول:
 - لم يبق لنا سوى التضحية بمن خرب المذبح وتسبب في هدم البيت.
 - ولكن يا مولاي هذا أقرب للمستحيل. الأوامر بهدم البيت أتت من القيادات العليا، ربما من عمدة المدينة نفسه.
 تلمع عينا "كنعان" ليقول في نصر:
 - هذا من نريده، العمدة. يجب أن نقوم بالتضحية بعمدة المدينة.
 يتبادلون النظرات التي بدت خائفة ومتردة، فتقول "أروى":

- وماذا عن المذبح؟ كيف لنا أن نعد غيره في هذا الوقت الضيق؟
- لن نفعل. هناك مكان سري يصلح لعمل الطقوس ولا يعلم عنه أحد سواي. اتوني به في التو وسنستطيع أن تتم الأمر.
- ومن سنؤكله بهذا الأمر؟ لقد صرنا بدون أعوان.
- يقول أبو "نورا":
- لدينا تابع جديد وقد أوكلت له مهمة وقام بتنفيذها على الوجه الأكمل. لقد أشعل النار في منزل "حاتم" والذي رفض هديتنا واستمرّا حسن تعاملنا.
- لتقول "نورا" بارتياح:
- من؟
- صديقه "محمود"، لقد جعلناه مطية لأهوائنا ورغباتنا. لقد ظن أنه تخلص من سيطرتنا عليه ولكننا خدعناه والأطباء الذين حاولوا علاجه. لقد مسسته وجعلته يفعل ذلك دون تفكير.
- فتقول "نورا":
- ولكن هذا لن يجدي مع العمة، فمن المؤكد أن حوله حراسة مشددة.
- بل بالعكس، إنه مهممل في هذا الجانب. ليس لديه سوى مساعد يصاحبه ليُلبّي له طلباته.
- وينادي بصوت جهوري:
- "محمود".
- لیدخل عليهم "محمود" والذي كان أقرب للموتى منه للأحياء، ويقول:
- أمرك يا سيدي.
- ألا تسجد لإلهك الملك "كنعان".
- وبدون تردد يسجد مما يظهر الجبور على وجه الأخير فيقول:
- أحسنت. أحسنت. أتوني بالعمة فوراً.
- ليقولون في صوت واحد:
- أمرك يا مولاي.

- يقول "حاتم" وهو يبدو واجبا وهو جالس بين يدي "محمد":
- لا أصدق ما رأيت عيناى، لقد كان "محمود" ولكنه لم يكن الذي أعرفه، ما ظننا أنه قد أذهب عنه ما به من مس، لم يفعل! كلي يقين أن هؤلاء الشياطين تعبت به. رأيتة وهو يلقي بالزجاجات الحارقة على بيتي.
- يجب أن نمسك به ونشره من ماء زمزم ويرقى بالقرآن.
- لا أخفي عليك يا شيخنا، لقد عرض علي الانضمام إليهم في أعمالهم الشريرة ولكني أبيت، إنهم يريدون أن يقوموا بسحر أسود. سحر يدعى "الظلال".
- أتقصد أنهم هم الذين قاموا بالجرائم المفزعة في الآونة الأخيرة؟

- هم عينهم. ويجب إيقافهم.
- ولكن كيف السبيل إلى الوصول إليهم؟
- "نورا"!
- لتظهر "نورا" من العدم!
- على الرغم من رباطة جأش "محمد" إلا أن عيناه اتسعت من هول ما رأى للتو فقال:
- أعوذ بالله من شر كل دابة هو آخذ بناصيتها.
- لا تخف يا شيخنا، "فنورا" في صفنا وقد أتت إلينا لتخبرنا بما ينتوون فعله.
- ينظر "حاتم" إلى "نورا" ويقول:
- هيا يا "نورا" أخبري الشيخ كل شيء.
- وتقص عليه ما أخبرت به "حاتم" من قبل، أخبرته عن كل شيء. عن خطتهم في التضحية بالعمدة، وعن "كنعان" وطموحه، وعما سيترتب عن نجاح هذه الطقوس، وعن المقر السري التي لا تعلم عنه شيء بعد.
- وكان "محمد" لم يستوعب كل هذه المعلومات الخطيرة فما كان منه إلا أن يردد:
- لا حول ولا قوة إلا بالله.
- ولما انتهت قال:
- يا بنيتي ما تقومين به من إنقاذ الأرواح البريئة يشفع لك عندنا وعند الله. قومي يا بنيتي راشدة إلى قومك ولك منا كل الود والتقدير.
- فيقول "حاتم" بنبرة فيها بعض الحرج:
- يا شيخنا نريد منك شيئاً في المقابل. أن تزوجنا. فنحن نريد بهذه الزيجة أن نكون درعا ضد شرور كلا الثقيلين من الجن والإنس، ولعل الله يرزقنا بذرية تكون ثمرة نضالنا وجيل قادم قادر على المجابهة والمواجهة.
- يبتسم "محمد" ويقول:
- لقد قرأت قبلا عن زواج بين الإنس والجن ولكني لم أشهده. حسنا سأزوجكما. ولكن قبلا دعنا نوصد باب الشر هذا.
- ويغادرون جميعا وقد بدأ فصل جديد من النضال ضد الشر المستطير.

تتبع...